

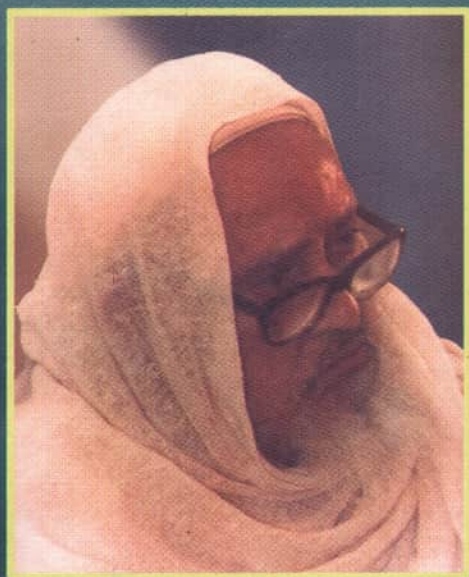
المؤسسة الجابرية للبنات
بني يزقن

الشيخ محمد بن يوسف ببانو

حياته وآثاره ودوره التربوي والدعوي

(1311هـ - 1409هـ / 1893م - 1988م)

قُدِّمَ البحث لنيل شهادة إثبات الكفاءة المنهجية



تأليف
نصمة بنت عمر بسخواض

تقديم

مصطفى بن محمد ابن ادريسو

1988

1

المؤسسة الجابرية للنبات - بنى يزقن

الشيخ محمد بن يوسف ببانو

حياته وآثاره، ودوره التربوي والدعوي

1311هـ - 1409هـ / 1893م - 1988م

بحث مقدم لنيل شهادة إثبات الكفاءة المنهجية

تأليف

نصيرة بنت عمر بسخواض

تقديم

مصطفى بن محمد ابن ادريسو

1432هـ / 2011م

نقش و - (نقش و) نقش و

هناك نقش و نقش و نقش و

نقش و نقش و نقش و نقش و نقش و

8881 - 8881 - 8881 - 8881 - 8881



11 نهج طالبي أحمد - غرداية

الهاتف / فاكس: 029 88 36 53

المنطقة الصناعية: 029 87 34 34

الإيداع القانوني رقم 2011/ 139

ردمك: 8 - 44 - 978-9947-845- I.S.B.N:

هناك

هناك نقش و نقش و نقش و

8881 - 8881 - 8881 - 8881 - 8881

نقش و نقش و نقش و نقش و نقش و

العنوان: الشيخ محمد بن يوسف بيانو
حياته وآثاره ودوره التربوي والدعوي

المؤلف: نصيرة بنت عمر بسخواض
التقديم: مصطفى بن محمد ابن ادريسو

رقم الإيداع:

الواصفات: التراجم، تاريخ مزاب، العلوم التربوية، الدعوة، علم الاجتماع
بيانات النشر: المؤسسة الجابرية للبنات، وعشيرة داداي أن باحمد، بني يزقن

حقوق الطبع محفوظة
للطابع



إهداء

✻ إلى الغاليين الكريمين، والدَيَّ العزيزين:

✻ رب ارحمهما كما ربياني صغيراً

✻ إلى إخوتي وأخواتي الأعزاء

✻ إلى روح الشيخ ببا نور رحمه الله

✻ إلى كل من أخلص لخدمة العلم وإعلاء كلمة الله

✻ إلى من مد لي يد العون لإتمام هذا البحث.

✻ إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي

نصيرة

شكر وتقدير

أحمد الله العليّ القدير أن منّ عليّ بالتوفيق لإنهاء هذا البحث،
وأتوجه في هذا المقام بأسمى معاني الشكر والتقدير لكل من ساندني ومد يد
العون لي في هذا السيل.

وأتوجه بالشكر الجزيل للأستاذ: مصطفى بن محمد ابن ادريسو الذي
علّمنا منهجية البحث العلمي، وأشرف على هذا البحث بتوجيهاته
وإرشاداته، وأشكر إدارة المؤسسة الجابرية للبنات التي دعمت هذا البحث
وغيره بكل ما أوتيت من وسائل، وزميلاتي في قسم البحوث، وأخص
بالذكر السيدة لطيفة بنت قاسم الحاج موسى.

وأثني على الشيخ محمد بن بانوح نوح مفنون، وعلى الشيخ محمد بن
صالح ببانو (رحمه الله)، وعلى الأستاذ يوسف بن بكير الحاج سعيد، الذين
لم يخلوا عليّ بما لهم من معرفة عن حياة شيخنا ببانو رحمه الله.

وأشكر الدكتور محمد بن موسى باباعمي والأستاذ خضير بن بكير
بابا وعمر لتوليهم مناقشة هذا البحث، وإفادتي بملاحظاتهما القيمة.

كما أثني ثناء خاصا على روح السيدة الفاضلة فاطمة بنت الحاج
بنكيح التي منحتني كل ما باستطاعتها رغم مرضها.

كما أشكر عشيرة داداي أن باحمد التي أسهمت في نشر هذا العمل.

أسأل الله تعالى أن يتقبل من كل هؤلاء، ويثقل بأعمالهم ميزان حسناتهم.

المحتويات

5	إهداء.....
6	شكر وتقدير.....
7	المحتويات.....
9	تقديم.....
15	مقدمة.....
19	الفصل الأول: حياة الشيخ ببانو ودوره التربوي
21	المبحث الأول: حياة الشيخ ببانو
21	المطلب الأول: نشأة الشيخ.....
21	1- نسبه ومولده.....
22	2- أزواجه وأولاده.....
23	المطلب الثاني: النشاط الدراسي والتجاري للشيخ.....
23	1- فترة الطفولة.....
24	2- فترة الشباب.....
30	المبحث الثاني: الدور التربوي للشيخ
32	المطلب الأول: المعهد الجابري.....
32	1- تأسيسه وتطوره.....
36	2- رخصة التعليم.....
37	المطلب الثاني: المدرسة الجابرية.....
37	1- تأسيسها وتطورها.....
40	2- هيئة توحيد المعارف.....
41	3- تعليم البنات.....

الفصل الثاني: الآثار العلمية للشيخ ببانو ودوره الدعوي

المبحث الأول: الآثار العلمية المكتوبة للشيخ ببانو

المطلب الأول: المراسلات

1- رسائل صادرة من الشيخ

2- رسائل واردة إلى الشيخ

المطلب الثاني: دروس الوعظ

1- دروس عقديّة واجتماعية

2- دروس تربوية وتاريخية

المطلب الثالث: مكتبة الشيخ

1- محتوياتها

2- وضعيتها الحالية

المطلب الرابع: الأسفار

المبحث الثاني: الدور الدعوي للشيخ ببانو

المطلب الأول: دور الشيخ في حلقة العزابة

المطلب الثاني: دور الشيخ في مجلس عمي سعيد

المطلب الثالث: دور الشيخ في جمعية المديح الشعبي (جمعية التثقيف الشعبي)

المطلب الرابع: دور الشيخ في الوعظ والإرشاد

المطلب الخامس: صفات الشيخ ومناقبه

1- أخلاق الشيخ

2- شهادات في حق الشيخ

الخاتمة

الملحق

فهرس المراجع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

ابن ادريسو مصطفى بن محمد

يبحث فن التراجم عن أحوال المجددين العاملين في الميدان، ويكشف سيرة من تركوا بصمات خالدة تنغني بها الأجيال وتنير درب الرجال وتفتح بسمات الآمال، وينقب عن مآثر الصالحين وجلال الأعمال. ولهذا التاريخ أثره البالغ في حياة الأمة، لأن المحافظة على الذاكرة أساس بناء مجد المجتمع وفخره ورفقه. والرجال الخالدون هبة ربانية لعباده، لسعيهم في خدمة بني قومهم، وتأثيرهم في محيطهم، إذ يصرونهم بأوجه الحياة الطيبة، ويوجهونهم لحسن الدنيا والفوز بالأخرى، ومن ميزتهم الإبداع في العمل، والتفاني في الإنجاز، متحلين بطاقة متدفقة، وعزيمة صادقة، وطموح جامع للمعالي، رائدهم الإخلاص لله، وغايتهم نيل رضوانه تعالى.

ويختلف هؤلاء الرجال الدعاة عن بعضهم من حيث دوائر العمل؛ فمنهم من يختار دائرة نشأته، ومنهم من يؤثر توسيعها إلى محيطه الوطني، ومنهم من لا يهنا له بال إن لم تكن دائرته المجتمع الإسلامي، أو العالم الفسيح والبشرية جمعاء. والشيخ الجليل بيانو محمد بن يوسف رحمه الله ممن أثر الأولى فعمل

جاهدا داخل أسوار بني يزقن، منشئا ومرييا ومعلما، وبانيا للمؤسسات، ومرشدا إلى القيم والمبادئ، وموقظا للوعي والضمير. وترك الشيخ الآخرين لأثرابه ومعاصريه، أمثال: مفدي زكرياء، وأبي إسحاق إبراهيم اطفيش..

نشأ الشيخ يتيما من أمه، فكفلته زوجة والده، فأحسنا تربيته، وأجادا معاملته، فشب شهما ميالا إلى المخاطرة، عاكفا على الجد والحزم، ومحبا للعلم وأهله، ومولعا بالتربية. فقد هرب من سطوة فرنسا مرتين؛ الأولى حين أرسله والده إلى القرارة في حادثة سنه فرارا من التمدرس في المدارس الفرنسية، أما الثانية فحين تخفى في عز شبابه بالبلدة تجنبا للتحديد الإجباري، فاستغل الفرصة لحتم القرآن الكريم. كما تنوعت روافد تعلمه، وتعددت مشارب مشايخه من قرارين ويسجنيين ومشايخ غير إباضيين من تونس حينما كان في البعثة المزابية بتونس، ومن الجزائر حيث ترعرع في المحلات التجارية لبني بلدته، فسمع مآثر أجداده فوعاها، وتطلعت نفسه إلى همتهم فسعى إلى بلوغها.

ولقد أثر نمط تكوين الشيخ في شخصيته كثيرا، فأكسبه حركية متوقدة، واصطبغت حياته بتوهج دائم في العمل التربوي والدعوي، وهو ما لم يستوعبه بعض معاصريه، فتوجسوا من أعماله ومنجزاته خيفة، واعتبروها خفة في العقل، وقهورا في العمل، في حين أن الشيخ كان من طراز خاص، نفسه طموحة للعلم تقتبس منه فرصا نادرة، وعقيدته داعية للسعي والجهاد، وغرامه مشدود لأهل العلم وخاصته، لا تشييه معارضة، ولا وشاية، ولا عجز صحي، ولا شلل

نصفى، بل أكسبه واقعه عزيمة لمواجهة الظروف القاسية، ودفعه قدما نحو تحقيق مجتمع مؤمن وواع وفعال، يسير على خطى أسلافه لاستعادة مجد المسلمين.

ومن المظنون أن عزيمة الشيخ بيانو في العمل استقاها من معاصرتة لتلميذين من تلاميذ القطب (الشيخ اطفيش)، وذلك إثر عودته من تونس مُرغماً، وبعد استظهاره لكلام الله العزيز في القرارة؛ أحدهما الشيخ صالح لعللي الذي حمّله المشعل العلمي في بني يزقن، فأبلى فيه الشيخ بلاء حسناً، والآخر الشيخ إبراهيم حفار الذي كان بمثابة مرجعية للشيخ بيانو، وعليه دارت رحي مشاريع التدريس في بني يزقن.

لقد اصطبغت حياة الشيخ بيانو بنضال متميز في المجال التربوي عند تأسيسه لمشروع تعليمي تولى تسييره بنفسه، ذلك أن الناس افترقوا في أمره شعبتين، مناصر ومعارض؛ فمنهم من ساعده لشراء دور مختلفة يوسع فيها مشروعه، وسانده لإقامة بعثة داخلية للطلبة، ووقف بجانبه لجلب التبرعات لأجور الأساتذة في مختلف الأطوار وبالأخص الطور الثانوي الذي كان على عاتق الشيخ حفار، ومنهم من عرقل مساره لسبب أو لآخر، حتى اضطر الشيخ إلى تدريس الصبيان بداره وكراء دار لأهله. ولكن العسر لم يدم طويلاً، فلاح اليسر، وزالت كل العقبات، واستبدلت بالنفحات، وانفتحت أمامه الأبواب الموصدة، وذلك حينما انضم الشيخ بيانو إلى حلقة العزابة ثانية، فصار التعليم انشغال البلدة كاملة، ومشروعاً تبناه العزابة بأنفسهم، فسمي بالمدرسة الجابرية.

ثم تلت بعد ذلك الانتصارات في المجال التربوي والدعوي، مثل تكيل جهود العاملين في التعليم ببني يزقن، وتوحيدهم تحت راية واحدة، وسعيه للحصول على أرض طيبة أقيمت عليها المدرسة، ومساندته للطايف الإداري لتعليم البنات على تبني مشروعهم من قبل المسجد، هذا في المجال التربوي. وأما في المجال الدعوي فإن مؤهلاته وصفاته من حرية الفكر، وسداد الرأي، وشدة الورع، وإثارة السلم على العناد والجدال، والإيمان بالله واليوم الآخر مكنته من الخوض في مؤسسات مجتمعه، والمضي قدما في تخطيطاته وإبداعاته، وتجلى ذلك مثلا في تهذيب الطبع الصحراوي الغليظ، وترقيق المشاعر بنشر عذب الشعر بينهم، وبديع الخيال في وسطهم، فأسس جمعية المديح الشعبي، تهم بتنشيط حفلات العرس، وزرع الأنس، فنبغ الشعراء في كلام الإشارة، وبرز الملحنون في تقريب العبارة، ورقصت نفس المستمع بحسن الإنشاد وحماسة البيان.

كان الشيخ ببانو بحق حكيماً بلدته، ورائد نهضتها، فقد ناضل في مجلس عزابة بني يزقن، فنظم الأوقاف، وطور الأداء المسجدي، ونصح الأمة بوعظه وإرشاده، ورسم السياسة العامة لبلدته تجاه الدولة الحاكمة؛ سواء كان الحكم فرنسيا في عهد الاستعمار، أو كان جزائريا إبان الحزب الواحد، فاشتهر ذكره، وارتفع قدره، فحق له أن يتبوأ رئاسة هذا المجلس، ثم رئاسة مجلس عزابة مزاب قاطبة ووارجلان (مجلس عمي سعيد)، وأبدى حنكة ورزانة في التعامل مع التراع الذي دار بين المحافظين والإصلاح جراء

الخلافات الفقهية والاجتماعية وحتى السياسية، وساس الجميع إلى المعاشرة بالحسنى وترك الفرقة، وأعاد القلوب إلى الجادة.

هذا غيض من فيض في أخلاق شيخنا بيانو رحمه الله وفي حياته الزكية، ومواقفه الأبية، ومن رام المزيد، واحتاج إلى التأكيد والتقيد، فليطلع على هذا البحث الذي أنجزته الطالبة المجددة: نصيرة بنت عمر بسخواض، الذي يحوي تفاصيل عن مولد الشيخ ونشأته، وزواجه وولده، ومواطن رعايته وابتغاء رزقه، ونشأته العلمية والثقافية، ويضم تحليلاً لنشاطه التعليمي، وكفاحه في بعث الروح في النفوس، وفيه حديث عن المؤازرين الذين شدوا أزره، وربطوا جأشه، وعن المعارضين الذين عرقلوا أمره، ودسوا ذكره، ويورد البحث كذلك مجمل القول عن جهاده الدعوي في المسجد، والمجالس العرفية، وعن مكتبته البامرة التي تحوي نفائس سلفه الصالح، وبياناً عن مراسلاته لعدة شخصيات مزايية وجزائرية وعمانية، وخبراً عن كثرة أسفاره وأخطاره التي صقلت قريحته، وعمقت تجاربه في الحياة، وكذلك مقتطفات من دروسه في الوعظ التي تنم عن الاعتزاز بالإسلام والمذهب الإباضي، وتدعو إلى التحلي بتقوى الله في السر والعلن، وتبين وثيق صلة الشيخ بتاريخ أجداده، وتمسكه بقيمه الأصيلة، واختياره الأحوط من الأمور، وترك المشتبه فيه.

وإني لأحمد الله أن فتح الله على الطالبة بدراسة هذه الشخصية التي اعتبرها نافذة لفهم تاريخ اليسجنيين، ومفتاحاً لإدراك سبل التغيير الاجتماعي

في مزاج، لكن لا تزال جوانب مضيئة كثيرة في حاجة إلى تحليل أدق، وإلى جمع أكبر للمعلومات، وقراءة أوسع للوثائق والمخطوطات، وهو ما نأمل أن يكمله الباحثون من بعدها، لأن هذا البحث قدم في إطار مشروع: "شهادة إثبات الكفاءة المنهجية"⁽¹⁾، وهي فكرة راودتني لما كنت أدرس بالمعهد الجابري للبنات، فألفت مستوى علميا مقبولا للمدرسات، مع أن تكوينهن لا يتعدى الثالثة الثانوي، فعرضت ورقة المشروع بأهدافه القرية والبعيدة على الإدارة بتاريخ: 13 نوفمبر 2002 لتدريسهن منهجية البحث العلمي سنة كاملة، وإنجاز بحوث علمية للسنة المقبلة، فقبلت الإدارة العرض، واستدعت بعض المتخرجات في المؤسسة للانضمام إلى الفريق، فكتب الله النجاح لبعض البحوث، بعد متابعتها عن كثب، وتصحيحها بدقة، ونوقشت مناقشة علنية من قبل الدكاترة والأساتذة، ولاقت الاستحسان والقبول لديهم، والحمد لله.

ونتركك أيها القارئ الكريم مع هذا البحث لتستمتع بمعلوماته، وتستفيد من درره، شاكرين المحسنين الذين أسهموا في نشر البحث، بعد أن كادت تنسيه السنون، فتقبل الله سعيهم، وجزاهم بخير الجزاء.

أدرار: 16 شوال 1431هـ / 24 سبتمبر 2010

(1) تبنت بعض المؤسسات التعليمية المزابية هذا المشروع، والله المنة، وكانت السباقة لنشر بحثها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

عظمة الأمم مرهونة بعظمة رجالها، ورفي المجتمعات مقرون برفيهم، لكن الرجال زائلون، والمجتمعات والأمم باقية شاهدة على عظمة بعض رجالها وصناع مجدها ومحققي آمالها.

من هؤلاء العظماء من كان له حظ من التعريف في بحث الباحثين أو تأريخ المؤرخين أو أدب الأدباء، فتحدثوا عنهم وأبرزوا مآثرهم وآثارهم، ومنهم من لم يكن له من هذا الحظ إلا القليل، فلا نجد من تحدث عنهم أو دوّن حياتهم إلا نادرا.

وانطلاقا من هذا الوضع أردت أن أسهم بهذا البحث في إبراز معالم إحدى الشخصيات الهامة في وادي مزاب وبني يزقن بخاصة، شخصية يشهد لها الزمان والمكان والعباد، إنه الشيخ محمد بن يوسف بيانو رحمه الله تعالى.

وتم اختياري لهذه الشخصية الجليلة لدوافع عديدة، منها كون الشيخ:

(1) من الرجال المسهمين في تأسيس عدد من مؤسسات المجتمع اليسجني.

(2) أحد رجال الإصلاح والتغيير في وادي مزاب.

ولم أعر أثناء بحثي هذا على دراسة شاملة لهذه الشخصية، إلا أنني استقيت المعلومات مما وجدته مختصراً فيما يأتي:

- (1) مسجد بني يزقن وجمعية التثقيف الشعبي: حفل تكريم فضيلة الشيخ محمد بن يوسف ببانو، وهو أهم مرجع في البحث لكونه يحوي معلومات مهمة عن الشيخ، ولأن المحاضرات أُلقيت على مسمع من الشيخ ببانو نفسه، مما يضيفي على معلوماته الدقة والصحة.
 - (2) يوسف بن بكير الحاج سعيد: تاريخ بني مزاب. فقد أورد الكاتب تعاريف لأعلام وشخصيات من كل فترة زمنية يتحدث عنها، ومن هؤلاء الشيخ ببانو، فجاء الحديث عنه بشكل مختصر.
 - (3) لجنة البحث العلمي، جمعية التراث: معجم أعلام الإباضية. تمثلت استفادتي من هذا المرجع مما ترجم للشيخ، ومن إرشادي إلى المصادر التي استقي منها معلوماته.
- فكان اعتمادي على هذه المراجع بالإضافة لمقابلات شخصية وأخرى مسجلة مع بعض الشخصيات التي عاشرت الشيخ فأمدتني بمعلومات عنه رحمه الله.
- وللوقوف على معالم شخصية الشيخ، وإبراز أهم محطات حياته، انتهجت المنهج التاريخي في هذه الدراسة، لرصد أهم الأحداث التي عاشها

الشيخ، كما استعملت المنهج الوصفي لعرض بعض آثاره، والمنهج التحليلي للحديث عن دوره التربوي والدعوي.

ويتلخص البحث فيما يأتي:

خصصت الفصل الأول للحديث عن حياة الشيخ ودوره التربوي، وقسمته إلى مبحثين، فتناولت في المبحث الأول الحديث عن حياة الشيخ ونشأته وعن نشاطه الدراسي والتجاري في فترتي الطفولة والشباب، وتطرقت في المبحث الثاني إلى الدور التربوي للشيخ في المعهد الجابري والمدرسة الجابرية، وآثرت أن أضع هذا المبحث مباشرة بعد حياة الشيخ لأنه يعتبر امتدادا لمسيرته التعليمية، ولاحتوائه على أحداث تاريخية كثيرة.

أما الفصل الثاني فكان للحديث عن الآثار العلمية للشيخ ودوره الدعوي، فأبرزت في المبحث الأول جملة من مراسلاته ودروسه في الوعظ والإرشاد، كما قدمت وصفا لمكتبته، وعرضت بعض أسفاره ورحلاته، وأوردت في المبحث الثاني الدور الدعوي للشيخ في كل من حلقة العزابة، ومجلس عمي سعيد، وجمعية التثقيف الشعبي، ومجالات أخرى، كما تطرقت لصفات الشيخ ومناقبه، وختمتها بوفاته.

وأعتبر ندرة المصادر المكتوبة في الموضوع أبرز ما اعترض البحث من صعوبات، ويرجع الفضل في التغلب على هذه الصعاب إلى الله جلّت قدرته، وتوجيهات الأستاذ المشرف للالتقاء بشخصيات تفيدني في هذه

الدراسة، فاتصلت بها وعقدت معها لقاءات مختلفة وأمدتني بما لديها من المعلومات، ومساعداته للاستفادة من مكثبات قيمة في البلدة كان لها الدور الكبير في إنجاز هذا البحث.

وأوجه بالمناسبة بجزيل الشكر والامتنان للقائمين على مكتبة الشيخ صالح لعلي على مساعداتهم لنا، وفتح أبواب المكتبة لنا للاعتراف مما تفيض به من ينابيع العلم.

أسأل المولى العلي القدير أن يتقبل من كل هؤلاء صالح الأعمال، ويوفقنا لخدمة العلم وإعلاء كلمة الله تعالى.

المبحث الأول: حياة الشيخ بمانو

المطلب الأول: نشأة الشيخ

الفصل الأول

حياة الشيخ بمانو

ودوره التربوي

المبحث الأول: حياة الشيخ ببانو

المطلب الأول: نشأة الشيخ

1- نسبه ومولده:

هو الشيخ محمد بن يوسف بن داود بن باحمد بن احمد بن محمد بن محمد ببانو⁽¹⁾، من مواليد مدينة بني يزقن إحدى مدن وادي مزاب ولاية غرداية، وهي إحدى مدن الصحراء الجزائرية، وكان ذلك خلال سنة 1311هـ الموافقة لسنة 1893م⁽²⁾.

والده السيد يوسف بن داود ببانو رجل صالح ورع تقوي، وأمه السيدة مامه بنت صالح مَسْكُفُوح، توفيت وهو صغير السن، وتولت تربيته زوجة أبيه السيدة عائشة دادي بُهُون، رفقة إخوته بالحاج، وباحمد، وعمر، وصالح، وأختيه فافة، وشاشة، والذين نشأوا جميعا في كنف عائلة كريمة يرعاهم فيها والدهم رحمه الله⁽³⁾.

(1) وصية الشيخ محمد بن يوسف ببانو.

(2) حسبما ورد في بطاقة تعريفه، ويوجد من حُدِّ تاريخه بـ 1896م، انظر: يوسف بن بكير الحاج

سعيد: تاريخ بني مزاب، دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، المطبعة العربية، غرداية، ص 232.

(3) فافة بنت يوسف ببانو: أخت الشيخ ببانو رحمه الله، مقابلة شخصية بتاريخ: 2003/12م،

ببيتها ببني يزقن.

2- أزواجه وأولاده:

تزوج الشيخ ببانو رحمه الله بالسيدة عائشة بنت عمر دواق وهو في أول شبابه، فأنجبت منه عدة أولاد إلا أن المولى جلّ وعلا لم يقدر لهم العيش فماتوا وكلهم صغار، إلا بنتا واحدة كتب الله لها طول العمر سمّاها مامه. ولكن لم تدم العشرة بين الزوجين فطلقها، بعد أن ساءت العشرة بينهما، فتزوج مرة أخرى بالسيدة شاشة بنت عمر باكلي التي كانت سندا قويا للشيخ ببانو في أعماله الاجتماعية، حيث وفرت له كل ما من شأنه أن يسهم في تحقيق الأهداف التي كان الشيخ ببانو يصبو إليها⁽¹⁾. وبعد أن تقدمت السيدة شاشة باكلي في السن لم تستطع القيام بواجباتها نحو زوجها وبيتها، وبخاصة مع تقدم سن الشيخ وتعدد مسؤولياته، فكر الشيخ ببانو في التعدد، فاقترن بالسيدة فاطمة بنت بالحاج بنكيح التي لازمته بكل إخلاص إلى أن التحق بجوار ربه، فكانت ترعاه وتلي حاجاته وتصبر على مرضه وتساعدته في أداء مسؤولياته الاجتماعية، كما كانت همزة وصل بينه والمجتمع النسوي في نقل الفتاوى وتوضيح المسائل الفقهية المستفسر عنها⁽²⁾.

(1) جملة من هذه الأهداف فيما يأتي من البحث.

(2) فاطمة بنت بالحاج بنكيح: أرملة الشيخ ببانو رحمه الله، مقابلة شخصية بتاريخ: 2003/8/11م، بيتها بني يزقن.

المطلب الثاني

النشاط الدراسي والتجاري للشيخ

1- فترة الطفولة:

شرح الشيخ في التعلم حين بلغ الخامسة من عمره بالمدرسة الحرة بالقرارة⁽¹⁾، وألحقه بها والده فرارا من تسجيله بالمدرسة الرسمية الفرنسية التي فتحت أبوابها بمسقط رأسه بني يزقن سنة 1893م⁽²⁾، وتخلصا من التبعية الفكرية والثقافية لفرنسا، والتي كانت تحاول بثها في عقول الناشئة عن طريق مدارسها الرسمية.

ولما كان تعويد الطفل على العمل منذ حداثة سنه إحدى أساسيات التربية في المجتمع المزابي، فقد رجع الشيخ إلى مسقط رأسه بعد أن بلغ في حفظ القرآن الكريم سورة فاطر، وانقطع عن التعلم لمدة ستة أشهر، سافر خلالها إلى مدينة سوق اهراس أين كان أخوه بالحاج تاجرا⁽³⁾، مما يدل على اضطراب النشاط الدراسي للشيخ.

(1) جمعية التراث: معجم أعلام الإباضية، القرارة، غرداية، الجزائر، 1420هـ / 1999م، 4/852.

(2) مسجد بني يزقن وجمعية التثقيف الشعبي: حفل تكريم فضيلة الشيخ الحاج محمد بن الحاج يوسف ببانو، شوال 1406هـ / جوان 1986م: 11.

(3) المصدر نفسه: 11.

وفي سنة 1904م رجع الشيخ ببانو إلى بني يزقن ليواصل تعلمه، فتتلمذ على يد مشايخ، منهم: الشيخ إبراهيم بن أحمد ابن ادريسو⁽¹⁾ والشيخ سليمان بن أحمد ابن ادريسو⁽²⁾ والشيخ أيوب بن عبد الله بنونورة⁽³⁾.

2- فترة الشباب:

وبعد أن نال الشيخ من العلم بعض مبادئه من المشايخ المذكورين اضطر إلى الولوج في ميدان التجارة، فكانت له عدة جولات للتجارة والعمل في مدن الشرق الجزائري، حيث ارتحل مجددا إلى مدينة سوق اهراس، ثم إلى القالة، ومداوروش، ثم إلى بوثلجة حيث استقر فيها⁽⁴⁾.

ولما اكتسب خبرة في العمل التجاري أهله ذلك للمشاركة مع أخيه صالح في مدينة مشرية غربي الجزائر⁽⁵⁾، تجسيدا منه لمبدأي التعاون والترابط

(1) إبراهيم بن أحمد بن سليمان ابن ادريسو: (و: 1285هـ / 1868م - ت: 1349هـ / 1930/12/30م)، من علماء بني يسجن بمزاب، أخذ العلم عن والده أحمد ابن ادريسو، ثم عن القطب الشيخ اطفيش. من تلاميذه محمد بن صالح الثميني، انظر: معجم أعلام الإباضية: 49/2.

(2) سليمان بن أحمد بن سليمان ابن ادريسو: (و: 1273هـ / 1857م - ت: 1383هـ / 1964م)، أخذ العلم عن والده، وتلمذ أيضا على يد قطب الأئمة أحمد اطفيش، كان له دور في نسخ مخطوطات نفيسة، انظر: معجم أعلام الإباضية: 407/3.

(3) لم أعثر على ترجمته في معجم أعلام الإباضية.

(4) مسجد بني يزقن وجمعية التقيف الشعبي: حفل تكريم فضيلة الشيخ الحاج محمد بن الحاج يوسف ببانو، شوال 1406هـ / جوان 1986م: 12.

(5) جمعية التراث، معجم أعلام الإباضية: 853/4.

بين أفراد الأسرة، وإيماننا بوجود تحمل المسؤولية، وكان رغم حداثة سنه يتولى تسيير الدكان، وضبط الحسابات، وجلب السلع⁽¹⁾، إلى أن اندلعت الحرب العالمية الأولى التي كانت سببا في عودة الشيخ إلى مزاب سنة 1917م، بعد تردي الأوضاع الأمنية في مدن الشمال الجزائري⁽²⁾.

ولشغف الشيخ بالعلم لم تمنعه مسؤوليته التجارية من مواصلة حفظه لكتاب الله العزيز حينما كان في الغربة خارج مزاب، على يد الشيخ مولاي عبد الرحمن المغربي، فبلغ سورة الأعراف، وكان حينها قد بلغ من العمر اثنتين وعشرين سنة، فاستدعي لأداء الخدمة العسكرية تحت العلم الفرنسي، وذلك سنة 1918م⁽³⁾.

ولما كان المزابيون يحتجون ضد التجنيد الإجباري تحت راية السلطة الفرنسية، لأنهم يعتقدون أن التجنيد تحت سلطة كافر يتعارض مع الدين الإسلامي، فقد فكر الشيخ في وسيلة تخلص من خدمة فرنسا والانقياد لها، فتقدم إلى مكتب التجنيد وطلب من الضابط الفرنسي رخصة للذهاب إلى مدينة البليدة لتسوية بعض مصالحه التجارية، فرحل إليها ومكث فيها لمدة ستة أشهر متخفيا عند ابن عمه السيد سليمان بيانو والسيد عبد الله

(1) مسجد بني يزقن وجمعية التثقيف الشعبي : حفل تكريم فضيلة الشيخ الحاج محمد بن الحاج يوسف بيانو: 12.

(2) المصدر نفسه: 12.

(3) جمعية التراث، معجم أعلام الإباضية: 853/4.

خرموش، شأنه شأن الكثير من الشباب المزابي الذين احتالوا على فرنسا بهذه الوسيلة للتخلص من الخدمة العسكرية⁽¹⁾.

وفي فترة تخفي الشيخ في البليدة استغل هذه الفرصة أحسن استغلال لختم مسيرته مع القرآن الكريم فتحقق له مبتغاه. وفي سنة 1919م قرر الرحيل إلى تونس قلة المتعلمين آنذاك طلبا للعلم والمعرفة، فشد الرحال إليها بجواز مرور باسم مستعار، نظرا لعدم تسوية وضعيته تجاه الخدمة العسكرية⁽²⁾.

ولما انضم الشيخ بيانو في تونس إلى بعثة صالح بن علي باعلي⁽³⁾، والتحق بالزيتونة، أخذ العلم عن مشايخ كبار أمثال الشيخ التونسي، والشيخ محمد النيفر، وإلى جانب ذلك كان يحضر دروسا في العلوم العصرية كالْحساب والجغرافيا بالمدرسة الخلدونية⁽⁴⁾، فتوسعت مداركه ومعارفه وتفتقت مواهبه، فأسندت إليه مهمة مراقبة زملائه في البعثة وإرشادهم، خاصة وأنه كان من أكبر الطلبة سنا، ولعل هذه المسؤولية تقدير من الله تعالى لتعويده على تحمل مسؤولية توجيه الناس وقيادتهم مستقبلا في مجتمعه،

(1) مسجد بني يزقن وجمعية التثقيف الشعبي: حفل تكريم فضيلة الشيخ الحاج محمد بن الحاج يوسف بيانو: 12.

(2) مسجد بني يزقن وجمعية التثقيف الشعبي: حفل تكريم فضيلة الشيخ الحاج محمد بن الحاج يوسف بيانو: 12.

(3) صالح بن علي باعلي: (و: 1297هـ / 1879م - ت: 1386هـ / 1967م) من رجالات بني يسحجن وعالم فذ من علمائها، وهو شيخ عزابي في الحلقة، انظر معجم أعلام الإباضية: 473/3.

(4) المرجع نفسه: 853/4.

وتتمثل مسؤوليته في البعثة في الاهتمام بستة وثلاثين طالبا وتحفيزهم على التحصيل العلمي، وفي تنظيم أنشطة ثقافية وترفيهية مثل تعليمهم السباحة⁽¹⁾، وبالإضافة إلى هذا كانت له لقاءات مع طلبة إباضية وافدين من جربة بتونس، وجبل نفوسة بليبيا، لتبادل الأفكار والتواصل المعرفي والثقافي بين إباضية المغرب الإسلامي⁽²⁾.

بعد مضي أربع سنوات ألح عليه والده بالعودة إلى مزاب⁽³⁾، حرصا عليه من توجه أفكاره ومعتقداته لمذاهب أخرى غير الإباضية⁽⁴⁾، وهذا استجابة لمعارضة الشيخ صالح لعللي⁽⁵⁾ لهذه البعثات العلمية، حيث كان يدعو إلى تمكين الطلبة من الفقه والتوحيد بما يتناسب وعقائد المذهب الإباضي، قبل أن يتجهوا إلى أي قطر غير إباضي للتعلم وطلب المعرفة⁽⁶⁾.

(1) مسجد بني يزقن وجمعية التثقيف الشعبي: حفل تكريم فضيلة الشيخ الحاج محمد بن الحاج يوسف بيانو: 12.

(2) المصدر نفسه: 12.

(3) المصدر نفسه: 12.

(4) محمد بن صالح بيانو (الشيخ): ابن أخ الشيخ محمد بن يوسف بيانو، عزابي، من الأساتذة الأوائل في الجابرية، مقابلة شخصية بتاريخ: 2003/8/30م، بداره ببني يزقن. توفي رحمه الله بعد إنجاز البحث، وقبل طباعته.

(5) صالح بن عمر بن داود لعللي (الشيخ): (و: 1287هـ/1870م — ت: 1347هـ/1928م)، من أجل علماء بني يسجن، أسندت إليه مشيخة العزابة ببني يسجن عام 1917م، أنشأ أول مدرسة نظامية تابعة للمسجد قبل تأسيس المدرسة الجابرية، انظر: معجم أعلام الإباضية: 475/3.

(6) محمد بن بانوح نوح مفنون (الشيخ): إمام مسجد بني يزقن، مقابلة شخصية بتاريخ: 2003/10/13 م، ببيته ببني يزقن.

وما كان للشيخ ببانو إلا أن يستجيب لطلب أبيه، فرجع من تونس عام 1923م بعدما قضى فيها أربع سنوات ناهلا من علم غزير لعلماء أجلة، ومحتكا بطلبة من مختلف الأصقاع، ومتحملا عناء الغربة لأجل العلم⁽¹⁾.

مع عودة الشيخ من تونس عادت مشكلته مع التجنيد، مما وضعه مجددا في موقف حرج، فقرر مواجهة الأمر مباشرة، فتقدم بشجاعة إلى ثكنة عسكرية في مدينة قسنطينة ليحل هذه المشكلة نهائيا، فمكث فيها سبعة عشر يوما انقضت بإعفائه من التجنيد لعله في ذراعه الأيمن أصابته عندما كان يعمل في التجارة⁽²⁾، إذ تعرض لكسر لم يجبر بطريقة صحيحة، مما سبب له مشكلة اشتكى منها طوال حياته⁽³⁾.

وبعد هذه الرحلة المتعبة رجع الشيخ إلى مسقط رأسه الذي كان في أمس الحاجة إلى العلم والعلماء، فوجد نفسه غير مقتنع بما تعلمه من علوم، لأنه لم يتمكن بعد من استظهار كلام الله العزيز، ولهذا قصد القرارة سنة 1925م لاستظهار القرآن الكريم في مدرسة عمر بن مسعود ابن عمر⁽⁴⁾، ويرجع سبب اختيار الشيخ للقرارة دون غيرها من قرى مزاب للاهتمام الكبير الذي أولته هذه البلدة للقرآن الكريم، وإثارا منه للتفرغ لهذا الهدف

(1) مسجد بني يزقن وجمعية التثقيف الشعبي: حفل تكريم فضيلة الشيخ الحاج محمد بن الحاج يوسف ببانو: 12.

(2) المصدر نفسه: 12

(3) فافه بنت يوسف ببانو: مقابلة شخصية.

(4) يوسف بن بكير الحاج سعيد: تاريخ بني مزاب: 233.

وعدم الانشغال بما سواه⁽¹⁾، فتمكن بفضل الله من تحقيق هدفه واستظهار كلام الله سنة 1927م⁽²⁾. وبهذا الإنجاز فتح الله له آفاقا واسعة، منها التكفل بالتدريس، وحضوره حلقات الشيخ إبراهيم بن بكير حفار⁽³⁾ الذي كان يدرس بمدرسة عبد الله بن صالح بليدي بوكامل ببني يزقن⁽⁴⁾، فواظب عليها، واغترف من علم الشيخ حفار الغزير، ونهل من سعة اطلاعه⁽⁵⁾، دأبه دأب من يسعى إلى المعالي، ويحرص على تغذية روحه في شتى ميادين العلم والمعرفة حتى يلقي الله وهو عنه راض.

(1) محمد بن صالح بيانو: مقابلة شخصية.

(2) يوسف بن بكير الحاج سعيد: تاريخ بني مزاب: 233.

(3) إبراهيم بن بكير (ابن أبي بكر) حفار: (و: 1308هـ/1890م — ت: 1373هـ/1954م)، من علماء وفقهاء مزاب، ساهم في إنشاء المعهد الجابري، انظر: معجم أعلام الإباضية: 12/2.

(4) عبد الله بن صالح بليدي بوكامل: (و: 1277هـ/1860م — ت: 1376هـ/1956م)، من الأثرياء الكبار في بني يسجن، وصاحب مدرسة فيها، له علاقات وطيدة مع السلطات الفرنسية، انظر: معجم أعلام الإباضية: 562/3.

(5) مسجد بني يزقن وجمعية الثقيف الشعبي: حفل تكريم فضيلة الشيخ الحاج محمد بن الحاج

المبحث الثاني: الدور التربوي للشيخ

تمهيد:

بعد عودة الشيخ بيانو رحمه الله تعالى من القرارة مستظهاً القرآن الكريم سنة 1927م، استدعاه شيخ المسجد الشيخ صالح لعللي ليدرس معه في المدرسة الجديدة التي بناها بجوار المسجد⁽¹⁾، فتولى تدريس طبقة الكبار، وذلك في إطار بعث النشاط العلمي الذي كان الشيخ لعللي يسعى من أجله، فكانت بذلك بداية الشيخ بيانو في ميدان التعليم، وما دعم اتجاهه هذا تعيينه عضواً في حلقة العزابة سنة 1927م، متولياً فيها دور لَفَقِي (الفقيه)، الذي يشغل بالتدريس⁽²⁾.

وما أن استقر الشيخ بيانو في التعليم حتى بدأ في وضع بصماته التغييرية والمتمثلة في إضافة فترة صباحية عوض الاختصار على التعليم مساءً، وقد ساندته في هذه المهمة الشيخ عيسى بن إبراهيم الشقمة⁽³⁾، ثم حاول

(1) يوسف بن بكير الحاج سعيد: تاريخ بني مزاب: 232.

(2) محمد بن صالح بيانو: مقابلة شخصية.

(3) عيسى بن إبراهيم الشقمة: ولد عام 1880م، فتح محضرة بشارع أغلاد انضاي، ثم التحق بمحاضر المسجد بعد انضمامه إلى حلقة العزابة عام 1918م، توفي سنة 1965م، انظر: نشرية تيسيت، العدد 10، بتاريخ 10 أوت 2001م.

الشيخ إدخال بعض الوسائل العصرية في التعليم بهدف تطوير الأداء التربوي، ومسايرة العصر، فجلب السبورة إلى المحاضرة، إلا أن العزابة عارضوه ومنعوا استعمالها، فوضعت في الدهليز وبقيت هناك قرابة ست أو سبع سنوات، وأخرجت منها بعد أن أصبحت غير صالحة للاستعمال، وكان الشيخ بيانو يعلق على ذلك مستهزئاً «حسي الله، وضعوا الجمل في المظمورة»⁽¹⁾.

استمر الشيخ في التدريس في هذه المدرسة إلى سنة 1941م⁽²⁾، حيث فصل عنها فاتخذ لنفسه مشروعاً تعليمياً شتملاً على مستوى ابتدائي وآخر ثانوي.

(1) إبراهيم بن محمد طلاي: حوار مسجل مع الباحثة لطيفة بنت قاسم الحاج موسى.
 (2) وقيل إلى غاية 1940م، انظر: المدرسة الجابرية القرآنية: فضيلة الشيخ بيانو محمد، 15 أوت 1997م، 3 صفحات، مصففة، ص2.

المطلب الأول: المعهد الجابري

1- تأسيسه وتطوره:

عندما انفصل الشيخ إبراهيم بن بكير حفار -من مدينة القرارة- عن مدرسة عبد الله بن صالح بليدي بوكامل لخلاف بينهما تأسف الشيخ بيانو لتوقف عطاء هذا العالم الجليل، فارتأى ضرورة إبقائه في بني يزقن، والاستفادة من فيض علمه، ففتح له في سنة 1941 دارا للعلم ليدرّس فيها⁽¹⁾، وكانت هذه الدار ملكا للسيد محمد بن يوسف الحاج سعيد، واقترح حينها الشيخ حفار تسمية المشروع بالمعهد الجابري نسبة إلى الإمام جابر بن زيد مؤسس المذهب الإباضي، فأطلقت عليه هذه التسمية⁽²⁾.

وقد لاقى الشيخ بيانو رحمه الله معارضة من بعض معاصريه لإيوائه الشيخ حفار، ولانضمام هذا الأخير للمعهد الجابري⁽³⁾، فقد وصل الخلاف أشده بين المؤيدين للمشروع والرافضين له⁽⁴⁾.

وبعد اشتهاار المعهد وتوافد الطلبة عليه من مختلف قرى مزاب اتخذ الشيخ بيانو الدار المجاورة لسكناه بعثة لهم، وسميت بدار الغرباء، وكانت

(1) محمد بن صالح بيانو: مقابلة شخصية.

(2) محمد بن بانوح نوح مفنون: مقابلة شخصية.

(3) محمد بن صالح بيانو: مقابلة شخصية.

(4) محمد بن بانوح نوح مفنون: مقابلة شخصية.

زوجته شاشة بنت عمر باكلي التي ناصرتة بمالها وعطفها وساعدها تتكفل بإطعام الوافدين⁽¹⁾، وقد خصص الشيخ للطلبة أجرة يدفعونها مقابل مصاريف الإقامة⁽²⁾، وينقسم الوافدون إلى قسمين:

(1) أصحاب المناطق البعيدة كورقلة، حيث يقيمون شهرين أو ثلاثة أشهر ثم يعودون إلى بيوتهم في العطلة المدرسية.

(2) أصحاب المناطق القريبة كالعطف، والذين كانوا يحضرون في السبت ويعودون إلى بيوتهم مساء الأربعاء⁽³⁾.

أمام هذا التزايد في عدد الوافدين إلى المعهد استعان الشيخ حفار في أداء مهمة التدريس ببعض النجباء من طلبته، مثل الشيخ محمد بن بانوح نوح مفنون، والشيخ عمر بن يوسف عبد الرحمن، فتولى هؤلاء تدريس المستويات الأولى في المعهد، فيما يختص الشيخ حفار بالمستوى العالي.

ونظرا لهذه التقسيمات وكثرة عدد الطلبة ضاقت دار محمد بن يوسف الحاج سعيد بهم ففكر الشيخ بيانو في شراء دار أوسع لينقل إليها التدريس، ووقع الاختيار على دار لعائلة إسفارن⁽⁴⁾ كانت تقطن في ذلك الوقت بمدينة سعيدة، وتكفل بمهمة شراء هذه الدار مجموعة من مناصري

(1) يوسف بن بكير الحاج سعيد: تاريخ بني مزاب: 232.

(2) محمد بن صالح بيانو: حوار مسجل مع الباحثة لطيفة بنت قاسم الحاج موسى.

(3) المقابلة السابقة.

(4) تقع هذه الدار في شارع المعهد الجابري ببني يزقن.

الشيخ بيانو، فقصدوا مدينة سعيدة لمقابلة هذه العائلة وشراء الدار فكان لهم ما أرادوا⁽¹⁾.

وفي طريق عودتهم التقوا بجماعة من المعارضين كانوا مسافرين لشراء نفس الدار لما علموا أن الشيخ بيانو أراد شراءها لمشروعه التعليمي⁽²⁾، وتعتبر هذه الحادثة إحدى مظاهر المعارضة التي تلقاها الشيخ بيانو في مسيرته التعليمية.

خصصت "دار إسفارن" لسكن الشيخ حفار لفترة من الزمن لقرنها من مقر تعليمه، كما درّس فيها لفترة قصيرة، ثم نقل التدريس عام 1948م⁽³⁾ إلى الدار التي بناها السيد صالح بن عبد الله زهار في شارع "خنيزة" والتي خصصها للمشروع التعليمي للشيخ بيانو، وبعد وفاة الشيخ حفار سنة 1954 تمت إعادة بناء "دار إسفارن" بطريقة تناسب الغرض الذي اشترت من أجله، وانتقل المعهد إليها مجددا في الموسم الدراسي 61/1962⁽⁴⁾، ثم أصبحت بعد ذلك مؤسسة تابعة للمسجد.

وقد ترك الشيخ حفار بعد وفاته رحمه الله فراغا كبيرا في ميدان العلم والتعليم والإفتاء، فحرص الشيخ بيانو على تجاوز هذا الفراغ لما في هذا

(1) محمد بن صالح بيانو: مقابلة شخصية.

(2) المقابلة السابقة.

(3) يوسف بن بكير الحاج سعيد: مدير المعهد الجابري للبنات، مقابلة شخصية بتاريخ 2010/09/29م، بالمعهد الجابري للبنات، ببني يزقن. (أجريت المقابلة قبيل نشر البحث).

(4) محمد بن صالح بيانو: سنوار مسجل مع الباحثة لطيفة بنت قاسم الحاج موسى.

الأمر من أهمية بالنسبة لمشروع المعهد الجابري من جهة، وللمجتمع من جهة أخرى.

ولهذا قصد الشيخ يوسف حمو أوعلي⁽¹⁾ في العطف فدعاه للتدريس بالمعهد خلفاً للشيخ حفار، نظراً لما كان يتمتع به من المستوى العلمي الكبير، وأسندت إليه مهمة تدريس المستوى العالي في المعهد⁽²⁾، ولم يتخل عنها إلى أن أقعده المرض والعجز سنة 1981م⁽³⁾، وكان يحضر دروس الشيخ إلى جانب الطلبة الكبار عامة الناس.

وبعد وفاة هذا الأخير تغير النظام في المعهد، فتحولت حصص تدريس الطلبة الكبار إلى حصص للمطالعة نظراً للمستوى المتقارب للحاضرين إليها، وهي طريقة ارتآها الشيخ بيانو للحفاظ على المعهد الجابري وضمان عدم اندثاره⁽⁴⁾، وكان مجلس المطالعة يعقد في بيت الشيخ بيانو ويحضره مشايخ من قرى وادي مزاب كلها، ويستغلون هذه اللقاءات للإجابة الجماعية على الأسئلة الواردة إليهم من المستفتين⁽⁵⁾، وهو بذلك فضاء لتبادل الأفكار والآراء، ووسيلة لترابط صفوف المزابيين ووحدهم.

(1) يوسف بن بكير حمو أوعلي: (1304هـ/1887م — ت: 1405هـ/1984م)، من مواليد مدينة العطف، عزّابي، عيّن نائباً للشيخ إبراهيم بيوض في رئاسة مجلس عمي سعيد بعد الاستقلال، ويعتبر آخر من توفي من تلامذة الشيخ اطفيش، انظر: معجم أعلام الإباضية: 1017/4.

(2) محمد بن صالح بيانو: مقابلة شخصية.

(3) يوسف بن بكير الحاج سعيد: تاريخ بني مزاب: 230.

(4) محمد بن صالح بيانو: حوار مسجل مع الباحثة لطيفة بنت قاسم الحاج موسى.

(5) المقابلة السابقة.

2- رخصة التعليم:

كان التعليم في عهد الاستعمار يخضع لشروط وقوانين صارمة، ويعتبر الحصول على رخصة من السلطات الفرنسية لمباشرة التعليم أحد هذه الشروط، فحاول الشيخ بيانو الحصول على هذه الرخصة فأعطيت له ثلاث مرات، ولكنها كانت تسحب بمجرد وصولها للقيادة العسكرية بغرداية، وذلك بإيعاز من معارضي الشيخ الذين يتمتعون بنفوذ وقوة تأثير على القيادة العسكرية⁽¹⁾، وقد كان في كل هذه الفترة يدرس بدون رخصة، مما كان يعرضه للخطر، فاستعان الشيخ بيانو بالسيد إبراهيم بن بالحاج حجوط⁽²⁾ لإنهاء هذا الموضوع، فاستطاع السيد حجوط بقوة نفوذه إحضار هذه الرخصة ووضع حد لهذه التلاعبات⁽³⁾.

-
- (1) الشيخ إبراهيم بن محمد طلاي: حوار مسجل مع الباحثة لطيفة بنت قاسم الحاج موسى.
 (2) إبراهيم بن بلحاج حجوط: (و: 1314هـ / 1897م — ت: 1382هـ / 1962م)، من وجهاء بني يسجن، انظر: معجم أعلام الإباضية: 21/1.
 (3) محمد بن صالح بيانو: حوار مسجل مع الباحثة لطيفة بنت قاسم الحاج موسى.

المطلب الثاني: المدرسة الجابرية

1- تأسيسها وتطورها:

لما كان الشيخ حفار صاحب علم غزير، ومكانة علمية خاصة فقد رأى الشيخ بيانو أن يخصص أقساماً للتلاميذ الصغار يدرّسهم فيها بنفسه ليهيئهم لفهم ما يملّيه الشيخ حفار في المستوى الأعلى عند كبرهم.

وتعرض الشيخ بيانو لمضايقات اضطرتّه لنقل مشروعه من دار لأخرى، ويصف لنا الشيخ بيانو رحمه الله المشهد فيقول: «... فكر أهل الصلاح في إيجاد محل كبير، وكلما سمعنا بمحل يليق ذهبنا إليه، وتقوم ضجة لا تُكْرُوا لهم؛ قبح الله أهل الأغراض والأهواء...»⁽¹⁾، كما اضطّر الشيخ كذلك إلى رهن داره ليوفر المال لمشروع التعليم ودفع أجرة المعلمين⁽²⁾.

وبعدما ازداد عدد التلاميذ في بيته والذي كان يبلغ في بعض الأحيان إلى حوالي المئتين⁽³⁾ اضطّر إلى تغيير مقر التدريس بكراء بيت آخر إلا أنه تلقى ضغوطاً ممن يطلب منهم كراء بيت، فإذا علم هؤلاء أن الشيخ بيانو أراد البيت ليدرس فيه تنصلوا من اتفاقهم على عقد الإيجار.

(1) محمد بن يوسف بيانو: دفتر تقييدات، بحوزة مكتبة محمد بن يوسف بيانو.

(2) محمد بن بانوح نوح مفنون: مقابلة شخصية.

(3) محمد بن صالح بيانو: حوار مسجل مع الباحثة لطيفة بنت قاسم الحاج موسى.

ولإخلاص الشيخ وتفانيه في تبليغ رسالة التعليم إلى الأجيال المسلمة، لم يعدم الحيلة للتخلص من هذا المأزق، فأجر بيتا لأهله وأبقى رحمه الله تلاميذه في بيته الأصلي⁽¹⁾.

وبسبب أتعاب الشيخ الكثيرة في إيجاد مقر يأوي إليه المشروع، وتوافد عدد التلاميذ، استعان الشيخ بيانو في التدريس بأساتذة آخرين، مثل: عيسى تفجيرة⁽²⁾، الحاج سعيد بن يوسف وينتن⁽³⁾، إضافة إلى مجموعة من الطلبة الكبار من المدرسة الجابرية؛ منهم: إبراهيم بن محمد طلاي، محمد بن أيوب صدقي، محمد بن صالح بيانو، عمر بن داود بومعقل، وغيرهم⁽⁴⁾.

لكن الشيخ بيانو بعد عودته إلى حلقة العزابة سنة 1946 أو 1947م تبنى المسجد مشروع المدرسة الجابرية، مما جعله يلاقي رواجاً عند الناس على ما كان عليه، ففكر الشيخ بيانو أن يعمم هذه الفائدة على باقي المدارس الناشطة في البلدة، لأن التعليم كان مشتتاً في دور مختلفة ومستويات متفاوتة وبطريقة غير نظامية، فكانت الجهود تبذل إلا أن نتائجها البارزة نادرة، لذلك أجرى الشيخ

(1) إبراهيم بن محمد طلاي: حوار مسجل مع الباحثة لطيفة بنت قاسم الحاج موسى.

(2) لم أعر على ترجمته في معجم أعلام الإباضية.

(3) الحاج سعيد بن يوسف وينتن (و: 1335هـ/1917-ت: 1987م): التحقق بجامع الزيتونة عام 1634م، عمل مدرسا للقرآن في ولاية سعيدة، رجع إلى مزاب وعمل مدرسا بالجابرية. انظر تيسيت، العدد 24، أكتوبر 2002.

(4) محمد بن أيوب صدقي: حوار مسجل مع الباحثة لطيفة بنت قاسم الحاج موسى.

اتصالات متعددة مع المسؤولين عن هذه المدارس محاولا إقناعهم بضرورة توحيد الجهود التربوية في البلدة، وبيان النتائج الإيجابية التي ستجني من التوحيد، فكانت الاستجابة لهذا المقترح متتالية من هذه المدارس. فتوحدت في سنة 1949م مدرسة الرشاد والمحاضر التابعة للمسجد والجابرية⁽¹⁾، وفي تاريخ 10 نوفمبر 1959م انضمت مدرسة العرفان إلى المجموعة⁽²⁾.

بعد هذا التوحيد كان لزاما على الشيخ أن يفكر في إيجاد بناية تأوي مشروع المدرسة الجابرية، فتم بناء المدرسة على أنقاض محضرتين تابعتين للمسجد ومدرسة الرشاد المجاورة لهما وذلك سنة 1961م⁽³⁾، ثم لما اكتسبت المدرسة الجابرية شهرة، وازداد عدد التلاميذ فيها، وضائق بهم المدرسة، فكر الشيخ بيانو مجددا في بناء مدرسة جديدة تتسع لأكثر عدد ممكن من التلاميذ، وكأول خطوة اختيرت الأرض المناسبة لهذا المشروع، فكانت قطعة أرض بأمّ رصيد⁽⁴⁾، فهي الأنسب لقرىها من سكان البلدة، ولكونها واسعة تفي بالغرض⁽⁵⁾، وكانت ملكا لعشيرة آل باحمد، فحاول الشيخ

(1) باحمد بن باسعيد الحاج سعيد: حياة الشيخ عبد الرحمن الحاج عمر بن الحاج يوسف اليسجني وجهاده في سبيل العلم والتعليم، راجعه وحققه محمد بن أيوب صدقي، دون مكان النشر، 1422هـ/2001م، ص: 12.

(2) يوسف بن بكر الحاج سعيد: مقابلة شخصية.

(3) يوسف بن بكر الحاج سعيد: تاريخ بني مزاب: 230.

(4) منطقة تقع خارج قصر بني يزقن من الجهة الشمالية.

(5) محمد بن بانوح نوح مفتون: مقابلة شخصية.

بيانو الحصول عليها، فساعدته في ذلك مكتب العشيرة وعلى رأسهم السيد إبراهيم دواق فوققوا إلى جانب الشيخ بيانو وناصروه إلى أن بلغوا هدفهم. وبعد التخطيط وإعداد العدة لبناء المدرسة، وبفضل الله وعونه، شارك معظم سكان البلدة في تمويل هذا المشروع الضخم⁽¹⁾، وفتحت المدرسة أبوابها سنة 1981م⁽²⁾.

2- هيئة توحيد المعارف:

هذه الهيئة التربوية هي إحدى ركائز المدرسة الجابرية لاهتمامها ببلورة البرامج المدرسة في الجابرية إعدادا وتجديدا، أنشأها الشيخ بيانو رحمه الله سنة 1948م، وتتكون هذه الهيئة من مجموعة من كبار طلبة الجابرية من مختلف قرى وادي مزاب⁽³⁾، عملت هذه الهيئة من أجل وضع منهج موحد لما يقدم للتلاميذ، وكانت نتيجة هذا العمل إصدار الهيئة سنة 1949م سلسلة لجميع ما يدرس بالجابرية، فتحوي في مضمونها خلاصات في الفقه والتاريخ والعقائد، وفي النحو عبارة عن أسئلة وأجوبة من وضع الأساتذة أنفسهم⁽⁴⁾.

(1) المقابلة السابقة.

(2) مسجد بني يزقن وجمعية التثقيف الشعبي: تقرير حفل تكريم فضيلة الشيخ محمد بن يوسف بيانو: 16.

(3) محمد بن صالح بيانو: مقابلة شخصية.

(4) محمد بن أيوب صدقي: حوار مسجل مع الباحثة لطيفة بنت قاسم الحاج موسى.

وقد لاقت هذه السلسلة استحساناً من مدارس المحافظين التابعة للمساجد الأخرى في قرى وادي مزاب لما ساهمت به في تحسين مستوى التعليم في الجابرية، فعمدت هذه المدارس إلى العمل بهذه السلسلة وإدراجها في برامجها⁽¹⁾.

3- تعليم البنات:

لم يكن للبنات اليسعيات عموماً في فترة السبعينيات وما قبلها حظ في التعلم بالطرق العصرية إلا نادراً، فقد كان تعلمهن يقتصر على حفظ بعض الآيات والسور والمسائل الفقهية، تلقن لهن من قبل بعض السيدات اللاتي يحفظن نصيباً من القرآن الكريم، ومعرفة بسيطة ببعض الأحكام الفقهية، وكان الشيخ بيانو لا يتوانى في تقديم المساعدة لهؤلاء المعلمات، كالسيدة زليخاء بنت يحيى خيرون، وعائشة بنت محمد بن داود دواق⁽²⁾.

وفي سنة 1974 تقدمت مجموعة من الشباب المثقف بطلب للشيخ بيانو يعبرون فيه عن رغبتهم في تحسين هذه الوضعية وذلك بفتح فرع في الجابرية للبنات، فرفع الطلب إلى حلقة العزابة التي تحفظت في البداية على هذا الموضوع للحساسية الشديدة من تعليم الذكور للإناث، إلا أن الشيخ بيانو رحمه الله تعالى كان مقتنعاً بهذا الأمر وموافقاً عليه، فحاول جاهداً

(1) محمد بن صالح بيانو: حوار مسجل مع الباحثة لطيفة بنت قاسم الحاج موسى.

(2) محمد بن صالح بيانو: مقابلة شخصية.

إقناع العزابة إلى أن تمكن مما أراد، فأعطي الضوء الأخضر للانطلاق في هذا المشروع على أن لا تعلن تبعيته للمسجد، ولولا فضل الله وتفتح الشيخ بيانو لطال ميلاد المدرسة الجابرية للبنات⁽¹⁾.

وفي ظروف قرار رئيس الجمهورية القاضي بوضع حد للتعليم الخاص بالجزائر، وبعد استثناء المدارس الحرة الإباضية، بادر الشيخ بيانو، بصفته مدير المدرسة الجابرية، بإيواء هذه المدرسة الفتية للبنات، وذلك في سبتمبر 1976، وقد أصبح حينها رئيسا للحلقة منذ عام ونصف⁽²⁾.

هذه بعض المعالم البارزة في المسيرة التربوية للشيخ، والتي تدل في مختلف أطوارها على إيمانه الراسخ في الأهمية القصوى للعلم في حياة الفرد والمجتمع، فالعلم عنده منبع التقوى، وأساس صلابة الأمة المسلمة، وهو السلاح الأنجع للسمود في وجه الظلم والظالمين، فأراد أن يغرس هذا المبدأ في الناشئة، من خلال هذه الكلمات التي كان يلقيها لتلاميذه: بالعلم عبد الله، وبالعلم يقوى الإسلام، وبالعلم ينهزم الطواغيت⁽³⁾.

(1) يوسف بن بكير الحاج سعيد: نادي الطالبات بالمعهد الجابري للبنات، حصاد الثلاثين، بتاريخ: 2004/01/29م.

(2) يوسف بن بكير الحاج سعيد: مقابلة شخصية.

(3) مسجد بني يزقن وجمعية التثقيف الشعبي: حفل تكريم فضيلة الشيخ الحاج محمد بن الحاج يوسف بيانو (كلمة الشيخ طلالي): 4، 5.

المبحث الأول

الآثار العلمية المكتوبة للشيخ بيانو

الفصل الثاني

الآثار العلمية للشيخ بيانو

ودوره الدعوي

المبحث الأول

الآثار العلمية المكتوبة للشيخ بيانو

تمهيد:

إن رجلا وهب شبابه وعمره لمجتمعه، وتفانى وأخلص في خدمته، ولم يدخر من أجل ذلك أدنى مجهود وأقصاه، لا شك أنه قد ترك وراءه آثارا تشهد مدى الأزمان على هذا العطاء الجزيل، وستحدث عنها في ثلاثة مجالات: المراسلات، ودروس الوعظ، والأسفار.

المطلب الأول: المراسلات

بحكم العلاقات المتعدد والكثيرة للشيخ بيانو مع الناس والهيئات المختلفة، وباعتبار الرسائل نوعا من أنواع وسائل الاتصال، فقد استعمل الشيخ هذه الوسيلة في مناسبات عدة ولأغراض جمّة، فبعث برسائل إلى هنا وهناك، وتلقى رسائل أخرى من جهات مختلفة.

ولحسن الحظ فإن الشيخ قد احتفظ بجزء من هذه الرسائل، وهي حاليا ضمن الوثائق المحفوظة في مكتبته، ومن بين هذه الرسائل؛ رسائل صادرة من الشيخ، وأخرى واردة إليه.

1- رسائل صادرة من الشيخ:

(1) رسالة حول صفات الشيخ صالح لعللي، أرسلها إلى الشيخ محمد علي دبوز بتاريخ 1965/9/27م، بعد طلب من الشيخ دبوز مؤرخ في 1965/9/19م. كما طلب منه رسالة أخرى ترجمة للشيخ إبراهيم بن بكر حفار مؤرخة في 1965/8/18م، ولعل ذلك لغرض توظيفها في تأليف كتبه.

(2) رسالة تتضمن ترجمة لبعض النساء الفضليات، وهي رسالة بعثها الشيخ بيانو إلى الشيخ أبي اليقظان إبراهيم بن عيسى حمدي، للاستفادة منها في كتابه ملحق السير، ومن هؤلاء النسوة ما يأتي: عائشة بنت عمر بن سليمان نوح، نانة بنت عبد الله ويتن، مامة بنت عدون زكرياء، شيخة بنت سليمان بهشو، زليخاء بنت يحيى خيرون، عائشة بنت عمر بن داود دادي هو، عائشة بنت محمد يعقوب، عائشة بنت محمد بن داود دواق (وهي زوجته الأولى)، شاشة بنت إبراهيم بن محمد بجيو، فافة بنت عدون كركار، عائشة بنت الحاج لهريل. ثم تلقى رسالة شكر وامتنان من الشيخ أبي اليقظان.

(3) رسالة تهنئة إلى وزير العدل (الحاج إسماعيل) مؤرخة في 1963/9/22م، يهنئه فيها على تعيينه في هذا المنصب، ولحسن كياسة الشيخ، وحرصه على مصالح أمته استغل هذه الفرصة لطلب تعيين السيد محمد بن سليمان مطهري قاضيا للصلح بالمحكمة الشرعية بغرداية.

(4) رسالة إلى وزير الأوقاف أحمد توفيق المدني، يطلب فيها دعمه، ووساطته لدى وزير العدل لنفس الطلب السابق، وفي نفس التاريخ.

إن رسائل من هذا النوع دليل على الاهتمام البالغ للشيخ بمد يد العون للشيخين محمد علي دبور وأبي اليقظان، وذلك من أجل كتابة التاريخ، وتدوين حياة شخصيات لها وزنها في مجتمعاتها، فلم يتأخر الشيخ ببيانو في إجابة الطلب.

كما تتضح من خلال مراسلاته للوزراء وتقديمه لهذا النوع من الطلبات المكانة المرموقة التي كان الشيخ يتمتع بها، كما تتجلى من خلالها محبته لمجتمعه، واهتمامه بمصالحه، واقتراحه تنصيب الرجل المناسب في المكان المناسب.

2- رسائل واردة إلى الشيخ:

أما الرسائل التي تلقاها الشيخ بيانو فنورد منها ما يأتي:

(1) كانت له مراسلات عدة مع علماء من عمان، ومع ممثلهم في الجزائر القائم بأعمال مكتب دولة إمارة عمان بالجزائر، المسمى ناصر بن محمد بن راشد الزيدي، والرسائل في أغلبها حول قضايا فقهية.

(2) تلقى رسالة تتضمن أسئلة تعين في إنجاز بحثين يعدهما محمود بن جمعة الأندلسي، ومُهَنِّي بن عمر التيواجني، وهما مدرسان بمعهد القضاء في سلطنة عمان، فأما البحث الأول فيخص دراسة وتحقيقا لكتاب "التحفة المخزونة في إجماع الأصول الشرعية ومعانيها" للشيخ أبي الربيع سليمان بن يخلف المزائي، وأما الثاني فيخص دراسة وتحقيقا لكتاب "شرح مختصر العدل

والإنصاف" للشيخ أبي العباس أحمد الشماخي، والرسالة مؤرخة في 1406/5/11هـ.

(3) رسالة حول موضوع تحديد النسل تلقاها من المجلس الإسلامي الأعلى لأجل دراسة هذا الموضوع، وتقدم رأيه وفتواه.

(4) رسالة تأسيس هيئة اجتماعية (جمعية القطب)، وهي مقدمة من جماعة من الشباب، ومؤرخة في جانفي 1964م، يهدف تخليد ذكرى وفاة قطب الأئمة، الشيخ أحمد بن يوسف اطفيش، وطلبوا منه حضور الاجتماع التحضيري لهذه التظاهرة.

(5) رسالة استشارة في تنظيم دروس دعوية للنساء الإباضيات بالعاصمة، تلقاها من ثلة من الشباب اليسجني في العاصمة، وينوبهم السيد عمر محمد موسى، وطلبوا من الشيخ الإجابة على الأسئلة الشهرية التي يجمعونها من الحاضرات في هذه الدروس، والرسالة مؤرخة في 1 شعبان 1401هـ، والموافق لـ 3 جوان 1981م.

(6) رسائل متعددة لحل التراعات الزوجية والعائلية.

(7) مراسلات صداقة مع العديد من الأصدقاء؛ من بينها رسالة من الشيخ فرحات الجعبري من تونس مؤرخة في 8 ربيع الثاني 1406 يوافق 86/12/21م.

ورسالة أخرى من محمد بن عبد الله السالمي مؤرخة في 1965/10/7م.

(8) رسائل المعارضة والتهديد، وهي تعطي صورة عن المعاناة التي عاشها الشيخ، شأنه شأن كل من سبّل نفسه لخدمة أمته ومجتمعه.

المطلب الثاني: دروس الوعظ

تمهيد:

ترك الشيخ بيانو رحمه الله آثارا مخطوطة متمثلة في دروس الوعظ والإرشاد؛ منها على سبيل المثال أحد عشر درسا في مواضيع عقدية وتربوية، واجتماعية، وتاريخية، وغيرها⁽¹⁾، أفصح من خلالها عن مبادئه وقيمه وفلسفة تفكيره، واستعمل في هذه الدروس أسلوبا بسيطا تتخلله عبارات عامية، وقارؤها يشعر بصدق الكلمات وأن الشيخ لم يكن يتكلف فيها، وقد أورد الشيخ هذه الدروس بشكل متسلسل مترابط للعلاقة الواضحة بين مواضيعها، وكونها تصب في قالب واحد، وهو مرضاة الله تعالى أولا، ودفع الأمة إلى الرقي ثانيا، ويمكن أن نصنف هذه الدروس إلى مجموعتين، هما:

1- دروس عقدية واجتماعية:

الدرس الأول:

تحدث فيه عن بيان ما لا يسع الناس جهله، وبين أن عبادة الله وطاعته لا تحصلان إلا بالعلم، ولذلك يعتبر العلم فرضا لازما على كل بالغ عاقل.

(1) توجد هذه الدروس بحوزة مكتبة الشيخ محمد بن يوسف بيانو رحمه الله، انظر نموذجا منها في الملحق رقم 1.

• التأسف على التفرق والتبدد في المجتمع المزاي، والدعوة إلى اتباع

السلف في اتحادهم وأعمالهم وصبرهم...

الدرس الخامس: أورد فيه:

• أهمية العدل، ونتائج إهماله.

• الدعوة إلى العدالة بين أبناء المجتمع الواحد.

• الثمار الدنيوية للعدل، ونتائجه الأخروية.

الدرس السادس:

تحدث فيه عن الإنصاف في نقاط هي:

• تعريف الإنصاف.

• نصائح لأولياء الأمور.

• ثمار الإنصاف.

• مكانة المنصفين عند الله تعالى.

• مظاهر من الإنصاف.

• نتائج التفريط في الإنصاف.

2 - دروس تربوية وقارية:

الدرس الأول:

تطرق فيه إلى الحديث عن تربية الناشئة، ودعا إلى إصلاح المجتمع من

خلال الاهتمام بإصلاح الأساس، وهم الأولاد.

الدرس الثاني:

تابع فيه حديثه عن الناشئة وتربيتهم، فشمّل الدرس ما يأتي:

- ♦ تأسف على الوضعية المزرية للأولاد في المجتمع.
- ♦ تذكير باهتمام الإسلام بالناشئة وتثقيفها.
- ♦ بيان أن رقي الحضارات مرتبط بحرص الأمة على العلوم والأخلاق، وأن الاهتمام بالتعليم وتحسين أحوال المدارس من أولويات الدول الراقية، أما المطالب الاجتماعية فتأتي في الدرجة الثانية.
- ♦ ثمار توجيه الناشئة إلى الأخلاق وميادين الخير، ونتائج إهمالهم.

الدرس الثالث:

جاء هذا الدرس تأكيداً لما تقدم الحديث عنه في موضوع الناشئة وتربيتهم، وختمه بدعوة متجددة للاعتناء بتربية الأولاد تربية دينية وعلمية.

الدرس الرابع:

أورد فيه رواية تشير إلى أهمية النظام وقيمة التاريخ، وعقب على الرواية بتوضيح الفكرتين خاصة الثانية.

ومن خلال بيان الشيخ بإعجاب الغرب بتاريخهم، وتعسفهم في دراسة تاريخ العرب، حث أبناء المسلمين على ضرورة تعلم تاريخهم العام والخاص.

الدرس الخامس:

أكد فيه على أهمية التاريخ وضرورة تعلمه وتعليمه، وأورد أمثلة من السيرة العطرة لرسول الله ﷺ.

المطلب الثالث:

مكتبة الشيخ

تمهيد:

إن كان العلم أنيس الشخص فلا ريب أن الكتاب جليسه، ومحبة الشيخ بيانو للعلم وإصراره على الاغتراف من نبعه إلى آخر يوم في حياته، جعلته لا يتوانى في اقتناء الكتب والحصول عليها في مختلف مراحل عمره، فأنشأ بذلك مكتبة تعد من أزخر المكتبات في بني يزقن، وترك أبواها مفتوحة لكل راغب في القراءة والمطالعة والبحث، فقد كان يعير الكتب للعديد من الأشخاص، ويخصص لذلك دفترًا لتقييد أسماء المستعيرين وتاريخ الإعارة، وهذا الحرص على الكتب مع عدم البخل بها ضمن عدم ضياعها واستفادة الباحثين منها.

وبعد وفاة الشيخ بيانو رحمه الله تعالى نقلت المكتبة إلى مقر مكتبة الشيخ صالح لعللي في ساحة بُوجْدِيرَة ببني يزقن، لتحفظ من الضياع والإهمال، وهي في هذا المقر إلى يومنا هذا، يشرف عليها القائمون على مكتبة الشيخ صالح لعللي.

1- محتوياتها:

تحتوي المكتبة ست خزائن من الحجم الكبير والمتوسط مرصوفة بالكتب بين مخطوط ومطبوع، وهي من نفائس الكتب والمخطوطات، وفي مختلف العلوم وميادينه، وأغلبيتها فقهية.

كما توجد بها كتب بما تملكه للشيخ إبراهيم بن بكير حفار، وأخرى للمدرسة الجابرية، بالإضافة إلى مجموعة معتبرة من الأرشفة والوثائق الهامة للشيخ، من أبرزها:

- ♦ كراريس بخط الشيخ ببانو بما تقييدات خاصة بالمدرسة الجابرية.
- ♦ رسائل تلقاها الشيخ أو بعث بها إلى جهات مختلفة.
- ♦ سجلات خاصة بتصفية التركات.
- ♦ سجلات خاصة بالحسابات المتعلقة بالجابرية.
- ♦ تقارير لبعض جلسات مجلس عمي سعيد.
- ♦ وثائق رسمية خاصة بالشيخ ببانو، أغلبتها توكيلات.
- ♦ وثائق بخط عمر بن يوسف عبد الرحمن.

2 - وضعيتها الحالية:

خصص القائمون لهذه المكتبة غرفة في الطابق الأول في مقر مكتبة الشيخ صالح لعللي، ووضعت الكتب في خزائن خشبية، ورصت بعضها

فوق بعض. وقد قام الأستاذ يحيى بن عيسى بوراس بفهرسة جزء هام من هذه المكتبة بما تحويه من كتب وأرشيف، في انتظار قيامه بفهرسة ما بقي منها⁽¹⁾.

وقد أوصى الشيخ بيانو رحمه الله تعالى بهذه المكتبة فكتب في وصيته: «... وأوصى بأن جميع ما عنده من الكتب والكراريس ولو ورقات كل ذلك حبس موقوف على من يقرأ فيها، لا يباع ولا يشتري حتى يرث الله الأرض ومن عليها، هذا في الكتب غير المكتوب اسم صاحبها فيها، وأما المكتوبة فترجع لصاحبها عاجلاً، والكتب المحبسة تعطى لمن يقرأ فيها ولا تترك للغبار...»

(1) انظر الصور في الملحق رقم 3. لقد تمت فهرسة المكتبة بعد إنجاز هذا البحث وقبل طباعته.

المطلب الرابع: الأسفار

بحكم المسؤوليات المتعددة⁽¹⁾ التي كانت على عاتق الشيخ بيانو رحمه الله تعالى، والروح الاجتماعية التي كان يتمتع بها، ولكون عدد كبير من أبناء المجتمع المزابي ينشطون في مختلف مدن الجزائر وخارجها، لم ينحصر نشاط الشيخ بيانو في بني يزقن ومزاب فحسب، بل تعدى ذلك إلى مدن أخرى فكانت له أسفار متعددة إلى مدن مختلفة ولأغراض جمّة، نذكر منها ما يأتي:

1- كانت له ثلاث رحلات إلى البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج. له أسفار متعددة إلى المدن المختلفة في جنوب الوطن وشماله للوعظ والإرشاد، وتفقد وضعية المزابيين فيها.

2- أغلب رحلاته كانت إلى المنية ووارجلان بغرض تفقد مصالحه ومكاسبه، وله أيضا زيارات إلى قرى وادي مزاب للتبادل والتشاور مع العزابة⁽²⁾، وضمن كل رحلاته كانت له جهود دعوية، ومواعظ في المساجد، ونذكر على سبيل المثال أن الشيخ في رحلته إلى ورجلان بتاريخ 12 ربيع الأخير 1401هـ / 7 فيفوي 1981م بغرض فحص طبي لعينيه، استغل هذه الفرصة للجلوس إلى انشغالات أهل وارجلان، فقدم درسا في

(1) كمسؤولياته في حلقة العزابة وغيرها.

(2) محمد بن صالح بيانو: مقابلة شخصية

جامع أبي يعقوب يوسف الورجلاني رحمه بين صلاحي المغرب والعشاء وترك أثرا بالغا في نفوس المستمعين⁽¹⁾.

3- لمتع الشيخ بالحس الفني والذوق الجمالي فإنه كان يعقد رحلات للاستحمام والراحة، وعلى سبيل المثال فقد كانت رحلته إلى زلفانة⁽²⁾ رفقة الشيخ يوسف بن بكير حمو وعلي، والشيخ عمر بن يوسف عبد الرحمن، حيث اقترح فيها الشيخ بيانو على هذا الأخير أن يسجل ويدون هذه الرحلة في أبيات، فلي طلبه بقصيدة مطلعها:

بمحمد إلهنا أتينا زلفانة ومقصدا استجمامنا ثم راحة⁽³⁾

(1) محمد بن يوسف بيانو: دفتر تقييدات، مكتبة الشيخ بيانو، صندوق الأرشيف.

(2) إحدى بلديات ولاية غرداية جنوبي الجزائر وهي مشهورة بحماماتها المعدنية.

(3) محمد بن يوسف بيانو: مكتبة الشيخ بيانو، صندوق الأرشيف.

المبحث الثاني

الدور الدعوي للشيخ بيانو

المطلب الأول: دور الشيخ في حلقة العزابة

بعد أن أخذ الشيخ بيانو رحمه الله قسطاً من العلم في تونس، واستظهر القرآن الكريم في القرارة، وشرع في التعليم بمدرسة الشيخ صالح لعللي رحمه الله، استدعي إلى حلقة العزابة سنة 1927م ليتولى فيها وظيفة الفقيه⁽¹⁾ نظراً للنشاط العلمي الذي كان يمارسه، إلى أن فصل عن الحلقة عام 1941م.

ولما تميز به من الأمانة والحرص على المال العام والخبرة في التجارة عين بعد رجوعه إلى كنف الحلقة عام 1947م⁽²⁾ وكيلاً على أوقاف المسجد، فتولى هذه المسؤولية الحساسة بكل أمانة، ومن جهة أخرى تولى الشيخ مهمة الوعظ والإرشاد في المسجد خلفاً للشيخ عمر بن يوسف

(1) محمد بن بانوح نوح مفنون: مقابلة شخصية.

(2) يوسف بن بكر الحاج سعيد: مقابلة شخصية.

عبد الرحمن⁽¹⁾ عام 1963⁽²⁾، فكان له المسجد منبرا لبث أفكاره الإصلاحية، وتوضيح المسائل الدينية، وتوجيه السلوك الدعوي للأفراد. ولأن الشيخ بيانو كان مدركا أن المسؤولية تكليف لا تشريف، فقد أدى هذه المسؤوليات بجد ومثابرة، ويطمح دوما إلى تحقيق الأفضل.

وفي سبيل تحسين الأداء الدعوي للمسجد عمد الشيخ إلى تعديلات وإصلاحات متعددة يرمي من ورائها إلى توفير جو مريح للمصلين، والتشجيع على عمارة بيوت الرحمن، ومن بين هذه الإصلاحات إقناع الإمام محمد بن باحمد يحي⁽³⁾ بإنارة المسجد بالكهرباء سنة 1954م بعد أن كانت الإنارة فيه بالقناديل الزيتية، وتوسيع سطح المسجد ليستوعب أكبر عدد ممكن من المصلين، وإعادة طلائه لإعطاء منظر مشرف لبيت الله⁽⁴⁾.

وظل الشيخ متحملا لهذه المسؤولية إلى أن صار أكبر عضو في الحلقة فتقلد رئاستها بعد وفاة الشيخ عيسى بن داود بزملا في صفر 1395هـ / فيفري 1975م⁽⁵⁾، لتكبر معه المسؤولية التي تستوجب عليه مزيدا من العطاء والتفاني.

(1) الحاج عمر بن الحاج يوسف عبد الرحمن: (و: 1334هـ/ 1916م — ت: 1417هـ/ 1996م)، من علماء بني يسحج، انظر: باحمد بن باسعيد الحاج سعيد، حياة الشيخ عبد الرحمن الحاج عمر بن الحاج يوسف اليسحجي وجهاده في سبيل العلم والتعليم.

(2) جمعية التراث: معجم أعلام الإباضية: 854/4.

(3) لم أجد ترجمته.

(4) مسجد بني يزقن وجمعية التقيف الشعبي: حفل تكريم فضيلة الشيخ الحاج محمد بن يوسف بيانو: 16.

(5) يوسف بن بكر الحاج سعيد: مقابلة شخصية.

ومما يؤكد على إدراك الشيخ لدور المسجد في حياة المجتمعات الإسلامية، فإنه صبر على شدة الموقف الذي تعرض له حين فصل عن حلقة العزابة لمدة ست سنوات في عهد الإمام محمد بن باحد يحي⁽¹⁾، وذلك بين سنتي 1941 و1947 بسبب إنشائه للمعهد الجابري، وإيوائه للشيخ حفار، ولسعة صدره ونبل خلقه لم يرفض العودة إلى الحلقة، ولم يعزف عن بذل أي جهد فيها، وهذا شأن كل من كان رضوان الله تعالى هدفه الأسمى.

(1) مسجل بني يزقن وجمعية التقفيف الشعبي: المصدر نفسه.

المطلب الثاني:

دور الشيخ في مجلس عمي سعيد⁽¹⁾

كان الشيخ بيانو رحمه الله تعالى يحضر الاجتماعات التي تعقد في مجلس عمي سعيد أكبر هيئة دينية على مستوى وادي مزاب وورجلان، وكان من الأعضاء الممثلين حلقة عزابة بني يزقن⁽²⁾، وبعد وفاة الشيخ عبد الرحمن بكلي (البكري)⁽³⁾ الذي كان يرأس مجلس عمي سعيد، اختير الشيخ بيانو بالإجماع لتولي مهمة الرئاسة، وتم ذلك في 27 جمادى الأولى 1406هـ يوافق 6 فيفري 1986م⁽⁴⁾، ولم يكن اختيار الشيخ لهذه المسؤولية اعتباراً وإنما هو نتيجة لما عرف عنه من صفات وأخلاق تميز بها، ولقدرته على التوفيق بين الرأي والرأي الآخر، وخبرته وحكمته في حل الخلافات، وهذا ما كان المجلس بحاجة إليه في تلك الفترة⁽⁵⁾.

(1) اسم الهيئة الاجتماعية في قرى مزاب، انظر: عوض محمد خليفات: النظم الاجتماعية والتربوية عند الإباضية في شمال إفريقيا: بدون معلومات النشر، ص 53.

(2) محمد بن صالح بيانو: مقابلة شخصية.

(3) عبد الرحمن بن عمر بن عيسى بكلي الشهير بالبكري: (و: 1319هـ / 1901م - ت: 1406هـ / 1986م) عالم جليل، وشخصية مرموقة، ولد بالعطف، تقلد عدة مسؤوليات

وطنية ومحلية، من أعماله المطبوعة: فتاوى البكري، انظر: معجم أعلام الإباضية: 521/3.

(4) المرجع نفسه: 854/4.

(5) محمد بن صالح بيانو: مقابلة شخصية.

وارتبط كذلك اختيار مكان انعقاد المجلس بشخصية الشيخ بيانو، فقير مقره مرتين حتى استقر ببني يزقن، فقد اضطروا إلى تغييره من مقبرة عمي سعيد بغرداية إلى مسجد بابا السعد بغرداية، نظرا لصعوبة المسالك الموصلة للمقبرة ولكبر بعض الشيوخ في السن ومن بينهم الشيخ بيانو رحمه الله تعالى، ثم نقل مرة أخرى من مسجد بابا السعد إلى بني يزقن، باعتبارها طرفا محايدا في الخلاف الواقع بين المحافظين والإصلاح، وللدور الفعال الذي انتهجه الشيخ بيانو في الدعوة إلى وحدة الصفوف وترابطها، والعمل بجد وعزيمة للتخفيف من هذه الاختلافات⁽¹⁾، وهذا أهم ما حققه الشيخ في هذا المجلس.

وبعد وفاة الشيخ بيانو رحمه الله تعالى طلب ناظر أوقاف الإباضية الشيخ عبد الحميد أبو القاسم من إمام مسجد بني يزقن الشيخ محمد بن بانوح نوح مفنون بقاء انعقاد المجلس في بني يزقن لضمان السير على نفس نهج الشيخ بيانو من الحرص على جمع الشمل، ووحدة الكلمة⁽²⁾.

(1) المقابلة السابقة.

(2) المقابلة السابقة.

المطلب الثالث:

دور الشيخ في جمعية المديح الشعبي

(جمعية التشفيف الشعبي)

شهدت أعراس فترة الخمسينات والستينات وضعية مزرية، تمثلت في الاحتفال بالغناء، والرقص وبعض الانحرافات الأخرى التي تخالف تعاليم الدين الحنيف، ففكر الشيخ بيانو في وسيلة تغيير لهذا المنكر، وأول ما بدأ به أنه كان يشجع طلبة المدرسة الجابرية على إحياء حفلات الأعراس بدار الحجة⁽¹⁾ على الطريقة الإسلامية⁽²⁾، وذلك باستبدال الغناء بالإنشاد والنشاط المهادف، ثم أنشأ سنة 1964 برفقة مجموعة من الشباب جمعية ثقافية هدفها إصلاح واقع حفلات الأعراس، مطابقة بذلك واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، متخذة من إلقاء القصائد والمدايح وعرض الأنشطة المختلفة وسيلة لهذا التغيير، وسميت بجمعية المديح الشعبي.

فشرعت الجمعية في عملها تحت إشراف حلقة العزابة، فكانت منبرا مباشرا للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من جهة، وفضاء مفتوحا لإبراز

(1) هي دار عامة تديرها حلقة العزابة وتخصصها لإقامة حفلات الأعراس على مستوى البلدة.

(2) يوسف بن بكير الحاج سعيد: تاريخ بني مزاب: 233.

المواهب الأدبية شعرا وخطابة ومسرحا ... فتحولت الأعراس بذلك من حفلات غناء ورقص ووضاعة إلى حفلات أدب والتزام ورفعة.

ويصف لنا الشيخ عمر بن يوسف عبد الرحمن رحمه الله في إحدى خطبه حال الأعراس قبل الإصلاحات التي دعا إليها الشيخ ببانو رفقة بعض الغيورين، فيقول: «... لا يخفى على شريف علمكم ما تدهورت إليه حالة حجابتنا فيما مضى من سالف الأيام، وكيف كانت عبارة عن مجالس فارغة من الفوائد مملوءة بهذيان الكلام، ولم تزل كذلك حتى شعرتم وشعرنا بفادح الخسارة التي لحقتنا بسبب هذا الإهمال، وحتى دب الإحساس في أوساط الأمة ولا سيما الشباب، فهبت الأمة بكل طبقاتها تلتمس لهذا الداء دواء، ولهذا التَّسْفُلُ علاء، وشرعت تنظم هذه الحفلات بشتى المحاولات، إلى أن وفقها الله إلى ما ترون من تبديل لأوضاعها ورفع لاتضاعها، وذلك بفضل الله وفضل مجهوداتكم معاشر الشباب الناهض المتحمس، ولا ننسى فضل الكهول والشيوخ الذين ساعدونا وساعدوكم، وأيدونا وأيدوكم، كما كان الله في عونكم وعوننا...»⁽¹⁾.

المطلب الرابع

دور الشيخ في الوعظ والإرشاد

من منطلق إيمان الشيخ أن للمرأة دوراً كبيراً في النهوض بأمته، وأن تثقيفها وإنارة فكرها أمر حتمي فإنه لم يخل على نساء بلده بما لديه من معرفة وعلم، حيث خصص وقتاً يلقي فيه دروساً على النساء، فقد كان ينفرد في غرفة في بيته خصصها الشيخ لنشاطه العلمي فيلقي منها هذه الدروس، وكانت المواضيع في أغلبها تتعلق بمسائل الحيض والنفاس والطهارات، وقد خصص لهذه الدروس كراساً يعتبر مذكرة يستعين بها، وكانت زوجته السيدة فاطمة بنت الحاج بنكيح الساعد الأيمن له في هذا النشاط، خاصة عندما ضعف بصره، فكانت تقرأ الخلاصات والمسائل ويقوم الشيخ بشرحها، وهذا كمرحلة أولى للدرس، وبعد انتهائه من هذا النشاط يفتح المجال للأسئلة والاستفسارات الخاصة، فتكون السيدة فاطمة همزة وصل بين السائلات والشيخ⁽¹⁾.

ومن جهة أخرى كان يسعى لإعطاء نفس جديد للمجلس النسوي (تمسردين)⁽²⁾ وذلك بالاجتماع بمن ومناقشتهم في مختلف المسائل

(1) فاطمة بنت الحاج بنكيح: مقابلة شخصية.

(2) تمسردين: تسمية تطلق على المجلس الديني للنساء، انظر: عوض محمد خليفات: النظم الاجتماعية والتربوية عند الإباضية في شمال أفريقيا: 51.

الاجتماعية، وبخاصة منها ما يتعلق بالأعراس وتحديد المهور، ومتابعة الجانب النسوي في الأعراس.

كما كان الشيخ يلقي دروساً في الوعظ والإرشاد خلال رحلاته وجولاته في مختلف المدن التي يزورها، ويتابع أوضاع المزايبين فيها عموماً واليسجنين خصوصاً، فيقدم توجيهات وإرشادات في المجال الشرعي، وفي مختلف مجالات الحياة⁽¹⁾.

هذه بعض نشاطات الشيخ بيانو رحمه الله تعالى والتي تؤكد إصراره على تحسين الأوضاع الاجتماعية في البلدة وخارجها، وهي خير دليل على أن الشيخ قد قضى حياته في خدمة الدين والمجتمع بكل ما أوتي من الوسائل والطرق، زاده تقوى الله ومكارم الأخلاق.

(1) محمد بن صالح بيانو: مقابلة شخصية.

المطلب الخامس: صفات الشيخ ومناقبه

1- أخلاق الشيخ:

من منطلق أن الإنسان ابن بيئته فقد ترعرع الشيخ وشب على روح تحمل المسؤولية، وقد نشأ في عائلة صالحة نقية محبة للعلم والعمل وتلقى تربية متزنة من مربيه ومعلميه، اتصف بصفات شهد الكثيرون بنبلاها وسموها، وسنحاول أن نستعرض بعضا من أخلاقه فيما يأتي:

كان الشيخ بيانو رحمه الله من أكثر الناس شغفا بالعلم والتعلم، ومن أحرص الناس على راحة المعلم والمتعلم، ومن أشدهم تفانيا في سبيل المعرفة، فقد قدم للعلم خدمات جليلة، وسعى في سبيله بالنفس والنفيس⁽¹⁾، وتحمل من أجله صعوبات شتى وعراقيل عدة ومعارضة شديدة، استطاع التغلب عليها بفضل الله تعالى، ولصبره الكبير وشدة عزيمته وثباته على الحق، ولقوة إرادته لتحقيق الهدف الذي سطره لنفسه، وكذلك بفضل مناصريه الذين ساندوه لتواضعه⁽²⁾، وصفاء طويته، ونبل صفاته، وإخلاص عمله لله، ولكرمه الشديد، وعدم تمييزه بين الفقير والغني، الكبير والصغير، فالكل ينال من الشيخ التقدير والاحترام⁽³⁾.

(1) محمد بن صالح بيانو: مقابلة شخصية.

(2) محمد بن بانوح نوح مفنون: مقابلة شخصية.

(3) مسجد بني يزقن وجمعية التقيف الشعبي: حفل تكريم فضيلة الشيخ الحاج محمد بن الحاج يوسف بيانو: 4، 5.

2- شهادات في حق الشيخ:

(أ) شهادة السيدة فاطمة بنت الحاج بنكيح:

وصفته السيدة فاطمة بنكيح بأنه كان مثالا في إكرام الضيف، فمن دخل بيت الشيخ لم يخرج منه إلا وقد أدى إليه حق الضيافة كاملة، مهما كانت وضعيته وصفته ومستواه، وكدليل على حسن كرمه كانت زوجته تخصص بعض الأواني لبعض الضيوف، مثل إبريق الحاج عمر مثلا⁽¹⁾. وكان يستقبل في بيته طلبة العلم والمستفتين والأصدقاء، كما كانت تُعقد فيه اجتماعات عديدة وبالأخص عندما أقعده المرض وأعجزه عن الخروج من بيته إلا نادرا.

يعتبر الشيخ من أشد الناس حرصا على أداء الأمانة، ومن المتحملين للأذى والصبر على مشاق الحياة مواجهين إياها بشجاعة كبيرة، وبخاصة وأنه ابتلي بمعارضة شديدة وملاحقة بالكلام السيئ في نشاطه الاجتماعي، وكان رده على ذلك في أغلب الأحيان بالصبر والحلم وكظم الغيظ. ومن صفاته المميزة أيضا حبه الشديد للنظافة والطهارة، فقد كان رغم مرضه وعجزه يجذ الاغتسال والتوضؤ على التيمم⁽²⁾.

(1) هو عمر بن يوسف عبد الرحمن، كان مصابا بداء السكري، فتخصص له إبريقا للشاي.

(2) فاطمة بنت الحاج بنكيح: مقابلة شخصية.

ب) شهادة الشيخ محمد بن صالح ببيان⁽¹⁾:

يقول عنه الشيخ محمد بيانو: «يمتاز الشيخ بيانو محمد بن يوسف بالتواضع والصبر والتفاني في سبيل العلم، فأينما وجد ما يتطور به العلم وتدفع به عجلته للأمام إلا أحضره وجلبه، ولا يتوانى في ذلك ويسعى إليه بالنفس والنفيس، فقد كان محبا للعلم لدرجة كبيرة جدا.

وكان يقضي معظم أوقات فراغه يدرس المتون الدينية الإباضية، وبخاصة خمسة الشيخ أبي نصر، التي اهتم بها إلى درجة أنه أعاد كتابتها بخط كبير عندما ضعفت حدة بصره، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على شدة حبه للعلم، وتعلقه الكبير به. ومن جهة أخرى فإن الشيخ كان حريصا على تحمل مسؤوليته تجاه عائلة بيانو، يلبي لهم حاجاتهم، ويقضي لهم مصالحهم»⁽²⁾.

ج) شهادة الشيخ محمد بن بانوح نوح مفنون:

يصرح الشيخ محمد نوح مفنون رئيس حلقة عزابة بني يزقن وصاحب المسؤوليات والمواقف، بأنه لم يعهد عند شخص الشغف بالعلم والتعلم، والاهتمام بالمعلم والمتعلم كما عهد عند الشيخ بيانو رحمه الله.

(1) توفي رحمه الله بعد إنجاز البحث، وقبل طباعته.

(2) محمد بن صالح بيانو: مقابلة شخصية.

ويصفه بشدة صبره وقوة عزمته وثباته على الحق مهما اشتدت الصعاب وكثرت العراقيل، الأمر الذي مكّنه من التغلب على المعارضة الشديدة التي تلقاها في مسيرته الاجتماعية⁽¹⁾.

(د) شهادة الشيخ إبراهيم بن محمد طلاي:

لخص الشيخ طلاي بعض صفات الشيخ بيانو في حفل تكريم أقيم على شرف الشيخ بيانو فقال عنه: «عرف الشيخ بيانو بالإخلاص وحب العلم والمتعلمين، والتضحية من أجل العلم والتعليم وتربية الناشئة، والوقوف إلى جانب العلماء والمخلصين والعاملين في الظروف العصيبة، والإنفاق على المعلمين ومن يعينه في مهمته النبيلة، وخدمة المسجد لفترة بلغت خمسين سنة، والوقوف ضد من يريد إطفاء نور الله وإعاقة مسيرة العلم والنور والهداية، والتواضع والإنصاف وخفض الجناح لذوي العلم والمعرفة».

قال عنه أيضا: «أكتفي بالإشادة بميزتين امتاز بهما شيخنا الجليل لا تعهدان كثيرا في غيره من العاملين في حقل المعرفة والتعليم، ميزتان ربما توجدان لدى البعض، إلا أنه ليس بالمستوى الذي نجده عند الشيخ؛

الميزة الأولى: حبه للعلم وكل من يتعلم وينتمي للعلم، قريبا أو بعيدا، كبيرا أو صغيرا، ذكيا أو بطيئا، غنيا أو فقيرا، فيفتح قلبه له وداره ومجلسه

(1) محمد بن بانوح نوح مفنون: مقابلة شخصية.

ويخصه إليه، ويمد يد المساعدة له ويقف بجانبه، هذه الميزة التي امتاز بها كانت وليدة إخلاصه ووجه الكبير للثقافة الإسلامية، وتمسكه بالتقوى وعمله بطاعة الله تعالى.

الميزة الثانية: الثبات وقوة الإرادة والاستمرارية على المبدأ الذي سطره، لا أخالي أجد له نظيراً في هذه الصفات إلا ما يذكر في التاريخ عن بقية السلف الصالح وتفانيهم في خدمة العلم»⁽¹⁾.

(هـ) شهادة الشيخ سعيد بن بالحاج شريف (الشيخ عدون):

يذكر عنه الشيخ عدون رحمه الله في حفل تكريم الشيخ بيانو: «نعرف في شيخنا الجليل هذه النفس القوية ونلمس فيه صفاء الطوية، وطهارة الضمير، ونبل الصفات، والحب في الله.

ونعرف فيه عن خبرة وارتباط ومعاشرة هذه العواطف السامية، ويعرفها كل من عاشره واتصل به من قريب أو بعيد»⁽²⁾.

هذه الشهادات الأربعة من معاشري الشيخ بيانو، ومن ذوي الخبرة في المجال الدعوي تترجم خصال الشيخ وأخلاقه، وتعبر بصدق عن المستوى الإنساني الراقى الذي تمتع به في مختلف مجالات حياته، وهكذا ينبغي أن تكون

(1) مسجد بني يزقن وجمعية التثقيف الشعبي: حفل تكريم فضيلة الشيخ الحاج محمد بن الحاج

يوسف بيانو: 4، 5.

(2) المصدر نفسه: 20.

أخلاق المربين والمرشدين، وموجهي المجتمعات وقوادها، فالتربية والإرشاد والتوجيه قول يتبعه عمل، وأسوة حسنة تجسد مبادئ الفرد ومعتقداته.

ولقد حافظ الشيخ على هذه الصفات الخلقية طيلة حياته، رغم ما تكبد فيها من المشاق، وذاق فيها من العناء، وما تمتع فيها بالنجاح والانتصار، حياة دامت اثنتين وتسعين سنة، أراد الله تعالى نهايتها يوم الثلاثاء 16 محرم 1409هـ / 27 سبتمبر 1988م⁽¹⁾، ليكون آخر مرقد له مقبرة حمو أويوسف في مسقط رأسه، فترك بعده بصمات شاهدة على روحه الإسلامية وعمله الذؤوب وعطائه الجزيل في سبيل أمته الإسلامية، وفي سبيل إعلاء كلمة الله.

الخاتمة

بعد هذه الجولة المقتضبة في حياة الشيخ بيانو رحمه الله تعالى التي دامت اثنتين وتسعين سنة، والوقوف على أبرز المخططات فيها، يتبين للمتتبع لها أن الشيخ نشأ في بيئة اجتماعية واقتصادية متوسطة الحال، فلم تكن عائلته تتصف بالثراء المادي أو التفوق العلمي، إلا أنها كانت تتصف بحسن الأخلاق وجودة التربية، ونظرا لمزاولته النشاط التجاري في سن مبكر لم يتمكن من الاستقرار في مشواره الدراسي، ورغم ذلك استطاع أن ينال نصيبا لا بأس به من العلم.

وقد تمتع الشيخ بخصال سامية وأخلاق عالية، نتيجة ما تلقاه من تربية، فأهله العلم والأخلاق لخوض غمار الحقل الاجتماعي، فوهب حياته لمجتمعه، وترك بذلك آثارا متعددة المجالات، منها آثاره العلمية المتمثلة في جملة من المراسلات والدروس.

كما استطاع الشيخ أن يحقق في حياته إنجازات هامة جدا تركت إلى يومنا هذا أثرا بالغا في المجتمع اليزجني خاصة والمزابي عامة، ومن هذه المنجزات ما يأتي:

1- في المجال التربوي:

تحويل نظام التعليم من محاضر إلى أقسام تعتبر لبنة لإنشاء مدرسة قرآنية عصرية تابعة للمسجد.

توحيد التعليم الحر بالبلدة بعد أن كان مشتتا بين مدراس مختلفة، مما أسهم في تجسيد إحدى مبادئه وهو الوحدة وترباط الصفوف.

استغلال كفاءات الشيخ حفار الذي كان إحدى ركائز المعهد الجابري، ومن بعده الشيخ جمو أو علي يوسف.

مساهمته في إثراء البرامج المعتمدة في التعليم بهدف التوعية الدينية والاجتماعية، والتعريف بالمذهب الإباضي، وجعل هذه البرامج متداولة بين مدارس وادي مزاب.

بناء مدرسة جديدة تتسع لأكثر عدد ممكن من التلاميذ، ويعد هذا الإنجاز أبرز أثر للشيخ.

ترك مكتبة تعتبر إحدى أهم المكتبات في وادي مزاب.

2- في المجال الدعوي:

- إعطاؤه نفساً جديداً لحلقة العزابة بعد انخراطه فيها، وذلك بالتحسينات التي اقترحها وألح عليها، وتولية لعدة مسؤوليات قام بها على أحسن وجه.

- قضاؤه على فترة الركود التي مست مجلس عمي سعيد بجمع شمل أعضائه وتوحيد الكلمة والصفوف بعد توليه رئاسة المجلس.
- إنشاؤه لجمعية الثقيف الشعبي المختصة في إحياء حفلات الأعراس بما يناسب الشرع والمجتمع.

- إثراؤه للثقافة الشرعية لدى النساء بمد يد العون للمعلمات اللائي كن ينشطن في ذلك الوقت، وبتخصيص دروس لعامة النساء.

لقد استطاع الشيخ بيانو أن يحقق في مسيرة حياته إنجازات خالدة رغم أنه لم يكن صاحب قوة كبيرة في العلم أو المال أو النفوذ أو الصحة، ولكنه تميز بغنى النفس وسلامة التفكير مما أهله لبلوغ أهدافه. والجدير بنا بعد هذه الجولة أن نستفيد من الشيخ وأمثاله الذين ضحوا من أجل رقي مجتمعهم بالنفس والنفيس، ولم تمنعهم الصعوبات والعراقيل من التشييد والبناء والتحسين، فنحسن بعد إحسانهم، ونصلح ما ينبغي إصلاحه، ونتبع نهجهم، فنكون خير خلف لخير سلف.

الملحق

الملحق رقم: 1

من دروس الشيخ

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك يا من أكرمنا على كثير من خلقه وقال: لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم. ونصلي ونسلم على منيع الفضل والإحسان، المبعوث إلى الخلق بشيرا ونذيرا، محمد صلى الله عليه وسلم، وآله وصحبه الذين شادوا الدين وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر. أما بعد:

فلما كان الوفاء بالوعد شيئا لازما وأمرا محتما، وكنت وعدتكم في ما مضى أن تتكلم في شأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنه مما يجب على الإنسان عند بلوغه وإقامة الحجّة عليه، فهاكم مباحث تتعلق بشأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فأقول مستعينا بالأحد الصمد:

المبحث الأول: في ألفاظها اللغوية

الأمر لغة: إحداث الشيء.

والمعروف اسم مفعول يطلق لغة على معارف؛ منها المعروف، والخير،
والرزق، والإحسان. و عرفا: ما استحسنته الشرع.

والنهي مصدر طلب ترك الفعل، والمنكر اسم مفعول ما ليس فيه
رضى الله من قول أوفعل وضده المعروف.

المبحث الثاني في حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في نظر الشرع
وهما واجبان وفرضان من فروض الكفاية، وحقيقة الفرض الكفائي
إذا قام به البعض أجزى عن الباقي، والدليل على هذا قوله سبحانه وتعالى:
﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ
الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 104]. والذي يأمر بالمعروف
وينهى عن المنكر يشترط فيه شروط منها: أن يكون بالغا وعاقلا ومكلفا
وقادرا وممكنا له ذلك بلا ضرر وراجيا القبول، وقيل ولو لم يرتج القبول،
وينبغي أن يكون عالما ذكيا فطنا حكيما يضع الأشياء في مواضعها وخالصا
أمره لله عز وجل، لا يطلب بذلك غير وجه الله، ولا يخاف في الله لومة لائم،
وصابرا لا تزغزه الشدائد ولا تأخذه الروائع.

الإتيان بهما أمر ضروري ولا شك ولا مرية فيه، لا حياة إلا بهما، وإذا
عُدم في أمة من الأمم فإنها تلقى الويل والثبور، ولا يرجى لها خير أبدا ما دام

المعروف لا يؤمر فيها والمنكر لا يزجر في ربعها. الخير كل الخير والنصر والعزة والسلطان معهما، قال صلى الله عليه السلام: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جندان من جنود الله من نصرهما نصره الله ومن خذلهما خذله الله»⁽¹⁾، اللهم نور بهما ربنا وزين بهما مجالسنا واجعلنا من الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر سرا وعلاية مخلصين لوجهك الكريم.

المبحث الثالث: في الآثار المروية في شأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منها قوله سبحانه وتعالى: «وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» [آل عمران: 104].

قوله: وَلْتَكُنْ أمر حتمي في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهذه الآية تدل دلالة واضحة في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لولا الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر لَخَرَبَتِ البلاد، ولتعطلت الحركات الدنيوية، وتبعثرت الأمور، وسادت الممحية ووقع الفساد في الأرض؛ في النساء والصبيان حتى الكهال.

اعلموا رحمكم الله لو عدم الأمر بالمعروف ولو في عائلة الإنسان نفسه لوقعت الفوضى وهمجت العائلة، واستغنى كل برأيه، فإذا كان كذلك فسد الكل من النساء والشبان، فصاروا عرضة للتلاشي، وأكلة السباع، وطمع فيهم حتى الخشاخش والديدان، فلهذا أمر المولى عز وعلا بالأمر بالمعروف

(1) لم أعر على تخريج الحديث في موسوعة الحديث الشريف.

والنهي عن المنكر كي ينتظم قانون العائلة وناموس الشعب وضابط الأمة، وعلق الفلاح للآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، حيث قال: وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ خصهم بهذا الوصف العظيم لعظم شأنهم ونزاهة رأيهم ورفي فكرهم وعلو رتبهم. ومنها قوله صلى الله عليه السلام فيما روي عن أبي أمامة أنه قال: «كيف بكم إذا طغى نساؤكم وفسق شبابكم وتركتم جهادكم؟ قالوا: وإن ذلك لكائن يا رسول الله؟! قال: نعم والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون.

قالوا: وما أشد منه يا رسول الله؟ قال: كيف بكم إذا لم تأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر؟ قالوا: وكائن ذلك يا رسول الله؟! قال: نعم والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون.

قالوا: وما أشد منه يا رسول الله؟ قال: كيف أتم إذا رأيتم المعروف منكرا والمنكر معروفا؟ قالوا: وكائن ذلك يا رسول الله؟! قال: نعم والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون.

قالوا: وما أشد منه يا رسول الله؟ قال: كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف؟ قالوا: وكائن ذلك يا رسول الله؟! قال: نعم والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون»⁽¹⁾

فيدل كل ذلك على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أمهات الفرائض التي بها تهذب النفوس، وتنظم الأمور، وترتقي الأحوال، ويصان بها الدين من الضياع، ويتقي حارسه من الانهزام، وقد ورد الأمر به في مواضع شتى من كتاب الله تعالى، لجلالة قدره، وسمو منزلته، وخطورة تأثيره، وفعله في كلا الأمرين؛ أمر الدنيا والمعاد، فبابه من أفسح الأبواب التي يدخل منها إلى متفرعات السبل والمسالك التي ظللتها أضياء الخير والفلاح.

أ- أما فائدته في مصالح الدنيا فلأنه بواسطته تبين ثمرات الارتباط بين المختلف من الأقوام، وتتجلى به حكمة تبادل المصالح والصالح بين الأنام، ومعالجته تلتحم القلوب على حب التعاون على البر والإحسان والتباعد عن العدوان، وتظهر في مجالي أضواء بيناته مرآشد الاعتصام بحبل التعاضد على صيانة كرامة الاستقلال بحفظ الحمى والأوطان.

ب- وأما أفاعيل ثمراته في الدين فلا شك فيه لأنه يهذب النفوس بمكارم التنبيهات، ويزين الأخلاق بجمال الفضل، ويثقف العقول بكمال الحقائق، وتظهر به القلوب من أدران الافتتان والشبهات، فتهدى إلى أقوم طرق الرشاد وأوضح محجات السداد، لتقف في المنتهى على سبيل الخيرات الموصلة إلى جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين.

اللهم اجعلنا من الآمرين بالمعروف والناهيين عن المنكر،

وبما أدخلنا جنتك التي وعدتها للمتقين.

الملحق رقم: 2

لا خير في شعب أهان عقوله⁽¹⁾

الشاعر: دواقي سليمان بن عمر

ما بال قومي كرموك أخيراً	أو لست أهلاً بالثناء جديراً؟
لا غرور إن نسي الأنام خيارهم	أو أنكروا فضلاً أراه كبيراً
ما كان للنبي يوماً كرامة	في قومه كيماً ترى التقديراً
يا شيخنا اغفر لقومك زلة	وأنس الإساءة والتمس تبريراً
ما كنت تعمل للجزاء فترتجبي	من غير ربك أو تريد شكوراً
قد شاء ربي أن تكون مكرماً	فهدى الشباب لما أراد أخيراً



يا شيخنا، أرجو السماح بوقفه	في حق شخصك تقتضي التعبير
ليست رياء في الكلام وإنما	هي في الحقيقة ما أكن شعوراً
مهما أجدت فلست بالغ	عذري في ذلك اعتبره قصوراً



(1) أُلقيت القصيدة في حفل تكريم الشيخ بيانو المقام بالمدرسة الجاهلية يوم 10 جوان 1986م، وسنقتصر على عرض جزء من القصيدة.

يا قوم، مَنْ هذا الذي به
 ماذا أقام من المكارم فافتضت
 لا تسألوني، واسألوا أعماله
 ما بألنا نبغي الدليلَ وبيننا
 هذا (البناء)⁽¹⁾ الضخمُ يشهد
 ما بألنا نبغي الدليلَ ومسجدُ
 لم يخلُ شبرٌ من مساحة أرضه
 ما بألنا نبغي الدليلَ وجهده
 ما بألنا نبغي الدليلَ ورفده
 ما بألنا نبغي الدليلَ ودوره
 أو لم يكن يدعو لرأبِ تصدّع
 إن كنتَ تجهلُ ما أقولُ فسلُ
 هذا هو الرجل الذي به يُحتفى
 اليوم نُكرِّمُ شخصه بتجلّة
 من كان يعملُ للإله فإنه

هل كان شخصاً للبلاد ظهيراً؟
 هذي المكارمُ أن يكونَ شهيراً؟
 تلك التي شهدت عليه دُهوراً
 كلُّ الدليلِ لمن يكونُ بصيراً
 لولاهُ ما وجدَ البناءُ ظُهوراً
 بالقرب منا قد رعاه صغيراً؟
 إلا ويشهدُ كيف كان طُهوراً
 في الخير كان مُعظماً مشكوراً؟
 في الوعظ والتعليم كان غزيراً؟
 في مجلس (الشورى)⁽²⁾ إليه أُشيراً؟
 يشكو به البلدُ الحبيبُ كثيراً؟
 (عمي سعيد) ألا يكونُ خبيراً؟
 قد كان حقاً للبلاد نصيراً
 في الله لا غرضاً نريدُ حقيراً
 يجدُ الجزاءَ موفّقاً موفوراً

...

(1) المدرسة الجابرية.

(2) مجلس عمي سعيد.

الملحق رقم: 3



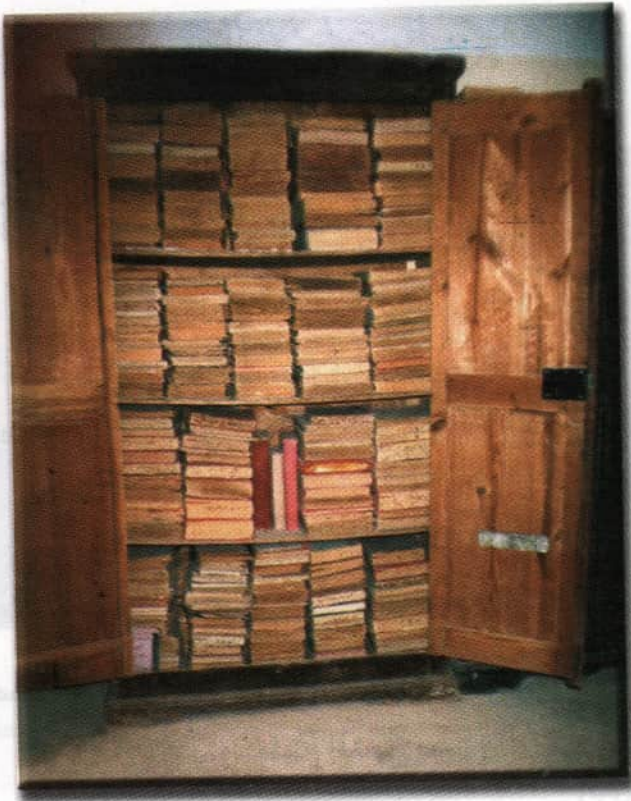
الشيخ محمد بن يوسف بيلان ورحمة الله





صورة لأهم المعالم الشاهدة على جهاد الشيخ بيانو، الجابرية

وَمَا مِنْ عَامِلٍ فِيهَا
يَعْمَلْ لِنَفْسِهِ يَجْعَلْ
اللَّهُ لَهُ كَنْزًا



صورة لخزانة في مكتبة الشيخ بيانو

وَاللَّهُ شَاقِبُ النَّاسِ وَفَاتِحُ الْغُيُوبِ
وَاللَّهُ يَخْتَارُ مَا يَشَاءُ وَيُفْعَلُ مَا يَشَاءُ



صورة لأعضاء حلقة عزابة بني يزقن يوم : 1988/02/26

يتوسطهم الشيخ بيانو

الشيخ من اليمين:

- | | |
|---------------------------|-------------------------------|
| 1- محمد بن صالح بيانو | 6- محمد بن بانوح نوح مذنون |
| 2- إسماعيل بن عمر بوشلاغم | 7- سليمان بن عيسى زيار |
| 3- عمر بن بكير شريفي | 8- إبراهيم بن بكير بوغالي |
| 4- محمد بن عمر ابصير | 9- إبراهيم بن محمد طلاي |
| 5- محمد بن يوسف بيانو | 10- محمد بن بالحاج الحاج سعيد |

فهرس المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع:

باحمد بن باسعيد الحاج سعيد:

1. حياة الشيخ عبد الرحمن الحاج عمر بن الحاج يوسف اليسجني وجهاده في سبيل العلم: راجعه وحققه محمد بن أيوب صدقي: 1422هـ / 2001م.

جمعية التراث:

2. معجم أعلام الإباضية، نشر جمعية التراث القرارة، المطبعة العربية، غرداية، الطبعة الأولى: 1420هـ / 1999م.

يوسف بن بكير الحاج سعيد:

3. تاريخ بني مزاب، دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، المطبعة العربية، غرداية: 1992.

ثانياً: الوثائق:

1- جلسات جمعية التوفيق ببني يزقن: في حوزة جمعية أبي إسحاق لخدمة التراث، بغرداية.

2- دفتر فيه تقييدات للشيخ بيانو: في حوزة مكتبة الشيخ محمد بن يوسف بيانو، ببني يزقن.

- 3- محمد بن يوسف بيانو: وثيقة تضمّنت ترجمة والدته الشيخ صالح بن عمر لعلي وتاريخ مختصر للجابرية، في حوزة مكتبة الشيخ محمد بن يوسف بيانو، ببني يزقن.
- 4- مسجد بني يزقن وجمعية الثقيف الشعبي: حفل تكريم فضيلة الشيخ الحاج محمد بن الحاج يوسف بيانو، (إلقاء مجموعة من الأساتذة): 2 شوال 1406هـ - 10 جوان 1986م، مرقون.
- 5- المدرسة الجابرية القرآنية للبنين: فضيلة الشيخ بيانو الحاج محمد، 15 أوت 1997م، 3 صفحات، مصففة، في حوزة مكتبة الحاج إبراهيم أوزكري، الوثيقة رقم: خ/ II / 5.

ثالثاً: المقابلات

- 1- الحاج سعيد يوسف بن بكير: مدير المعهد الجابري للبنات، مقابلة شخصية بتاريخ 2010/09/29م، بالمعهد الجابري للبنات، ببني يزقن (أجريت المقابلة بعد مناقشة البحث، وقبل نشره).
- 2- بيانو فافه بنت يوسف: أخت الشيخ بيانو رحمه الله، مقابلة شخصية بتاريخ: 2003/12م، ببيتها، ببني يزقن.
- 3- بيانو محمد بن صالح (الشيخ): عزابي وابن أخ الشيخ بيانو محمد بن يوسف (توفي رحمه الله قبل نشر البحث).

- أ- مقابلة شخصية بتاريخ: 30 أوت 2003م، بمقره، بني يزقن.
- ب- مقابلة مسجلة مع الباحثة الحاج موسى لطيفة بنت قاسم بتاريخ: 30 أوت 2003م، في بيته.
- 4- بنكيح فاطمة بنت بالحاج: أرملة الشيخ ببانو محمد بن يوسف، مقابلة شخصية بتاريخ: 11 أوت 2003م، في منزلها، بني يزقن (توفيت رحمها الله قبل نشر البحث).
- 5- صدقي محمد بن أيوب (الشيخ): أستاذ محاضر في تخصص علوم الشريعة بمعهد عمي سعيد، مقابلة مسجلة مع الباحثة الحاج موسى لطيفة بنت قاسم بتاريخ: 30 سبتمبر 2003م، في المدرسة الجابرية بنات.
- 6- طلاي إبراهيم بن محمد (الشيخ): عزالي وأستاذ محاضر في تخصص علوم الشريعة بمعهد عمي سعيد، مقابلة مسجلة مع الباحثة الحاج موسى لطيفة بنت قاسم بتاريخ: 24 أوت 2003م، في المدرسة الجابرية.
- 7- نوح مفنون محمد بن بانوح (الشيخ): رئيس حلقة العزابة ببني يزقن، مقابلة شخصية بتاريخ: 13 أكتوبر 2003، في منزلها، بني يزقن.

الشيخ ببانو رحمه الله

هو الشيخ محمد بن يوسف ببانو (1313هـ - 1406هـ/1896م - 1988م)، من مواليد بني يزقن ولاية غرداية الجزائر.

مكنته قوة إرادته من الاعتراف من ينابيع العلم في موطنه وخارجه (القرارة، بني يزقن، سوق أهراس.. تونس)، ودفعته روح المسؤولية إلى ممارسة النشاط التجاري منذ الصغر، فجمع بينها بكل جد وعزيمة ومثابرة.

واستطاع بتميز مناقبه أن يضع بصماته في الحقل التربوي والدعوي والاجتماعي، فأسس المعهد الجابري والمدرسة الجابرية، وأسهم في تطوير البرامج التعليمية بما يتناسب وعصره. ولتفتح بصيرة الشيخ كان مؤيدا لمنح الفتيات حقهن في التعلم، فدعم مشروع الجابرية للبنات.

وأهلته مزاياه العلمية والأخلاقية للانضمام لحلقة العزابة ومجلس عمي سعيد وإعطاء دفع قوي لهما. كما أسس جمعية المديح الشعبي (جمعية التثقيف الشعبي حاليا) فجسدت مبادئ الشيخ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والرفع من المستوى الثقافي للشباب.

لقد آمن الشيخ ببانو بأن سعادة الإنسان في الدارين مرتبطة بالعلم، فكرس حياته لخدمته وتفاني في سبيله، وتحمل من أجل إعلاء كلمة الله الصعاب والشدائد، يبتغي الثواب من الله، وينشد رضوانه تعالى.

ردمك: 8 - 44 - 978-9947-845- I.S.B.N.

تصميم الغلاف: نور الدين بن محمد بكاي